الإفادة

بأشهر أسباب السعادة

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

الإفادة
بأشهر
أسباب السعادة

الإفادة بأشهر أسباب السعادة

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

الإفادة

بأشهر

أسباب السعادة

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_lzoukory

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://www.facebook.com/649918028352367

https://chat.whatsapp.com/FglUKZ0nwzR5EYaguQttSz

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه ﷺ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل، والذي أعطانا فأجزل.

ومن ذلك: أن هيأ لنا المسير، إلى جزيرة سقطرى، في العاشر من شهر ربيع الآخرة، لعام ١٤٤٧هـ، وكان بعد انقطاع عن الجزيرة قريب خمسة عشر سنة، وهذه الزيارة الثالثة للجزيرة، والحمد لله.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [يُونُس: ٢٢].

وكما قال بعض الشعراء:

مشيناها خطًا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطًا مشاها

والإنسان في هذه الحياة يسير على تقدير الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ونحن نلتقي في مسجد السنة، في مدينة (**حديبو**) عاصمة هذه الجزيرة المباركة.

ونحمد الله عَزَّوَجَلَّ على أن هيأ لنا هذا المجلس الطيب المبارك.

فمجالس العلم، مجالس تذكير، مجالس سماع القرآن الكريم، وسماع سنة النبي ﷺ؛ مجالس مباركة نافعة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فينتفع بها المتكلم، وينتفع بها السامع.

سمعنا من: أخينا أبي حذيفة عامر السقطري حفظه الله تعالى، ترحابًا طيبًا، ينمو عن محبة وتقدير لإخوانه، من الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ومن طلاب العلم.

وقد رأينا أيضًا: من بقية الإخوة، إكرامًا وحفاوة، نسأل الله أن يجزيهم خيرًا، كالأخ أبي جمال، والأخ سعد، والأخ سالم، والأخ سمير المليكي، والأخ ماجد حاجب، والأخ سالم وغيرهم كثير.

ونقول كما جاء في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(١).

فجزى الله عَزَّوَجَلَّ خير الجزاء كل من هش، وبش، ورحب، وأكرم، وحضر، وفرح، وشارك، وتعاون، لمجيء إخوانه من الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وغيرهم من محبي السنة والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٦٧٢)، والإمام النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (٢٥٦٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح أبي داود برقم (١٤٦٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٧٣٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. الحديث أخرجه النسائي (ج٥ ص٨٢).

السعادة هي مطلب كل مكلف في هذه الحياة الدنيا

لو سألنا أي إنسان في هذه الحياة الدنيا، ما مطلبك؟

سيكون الجواب: السعادة.

فالمسلم المستقيم: يطلب السعادة.

والمسلم العاصي: يطلب السعادة.

ومثله المسلم المبتدع المخالف لسنة رسول الله ﷺ يطلب السعادة ببدعته وحزبيته وضلاله.

حتى لو سُئل الكافر، أو المشرك الشقي في دنياه وأخراه عن مطلبه وبغيته: لكان جوابه أنه يطلب السعادة.

فاليهودي: يطلب السعادة.

والنصراني: يطلب السعادة.

والمجوسي: يطلب السعادة.

والبوذي: يطلب السعادة.

والهندوسي: يطلب السعادة.

الكل يطلب السعادة.

فالجميع في هذه الحياة الدنيا، يتعاطون أعمالهم طلبًا للسعادة.

حتى الزناة والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريدون بفعلهم ذلك السعادة، ويكون فعلهم هذا وبالًا عليهم في دنياهم، وفي أخراهم.

والسارق: يسرق من أجل أن يكسب مالا وتقع له به السعادة؛ فيقع له ضد ذلك.

وتارك الصلاة: ينام عن الصلاة المكتوبة طلبًا للسعادة في نومه.

ومتعاطي المخدرات: يطلبون بفعلهم والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السعادة.

السكارى: يطلبون بسكرهم وشربهم للخمر والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السعادة.

وهكذا سائر الكفار والمشركين والعصاة يلتمسون السعادة بأفعالهم، وأعمالهم.

لكن يا تُرى هل وفقوا في طلبهم للسعادة المزعومة في سلوكهم هذه الطرقة المحرمة؟

الجواب: لم يوفقوا لذلك أبدًا، وإنما السعيد حالاً ومآلاً، المسلم المستقيم على شرع الله عَزَّوَجَلَّ ودينه المتابع لرسوله ﷺ الأخذ بمنهج السلف الكرام والأئمة الأعلام، أسأل التوفيق والسداد.

بيان أقسام السعادة:

والسعادة أقسام وأنواع:

منها: سعادة دائمة مستقرة ثابتة.

منها: سعادة زائلة متحولة متغيرة متقبلة، والله المستعان.

السعادة الزائلة

فالسعادة الزائلة: هي سعادة الدنيا.

فهنا: قد يتحصل الإنسان على بعض المفرحات، وبعض المسعدات، كالأموال والزوجات والمراكب والمناصب والصحة والأمن وغيرها، وقد تقع لطائع لله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقع لعاصي يتعاطى في نفس الوقت بعض المحرمات، وبعض المنكرات، وبعض المعاصي والسيئات، بل قد تقع لكافر ومبتدع ومعرض، والله المستعان.

مع أن هذه الأصناف سوى الطائع في الغالب في عيشة ضنكة.

وإنما يسعد في وقت التعاطي فقط، سعادة سرعان ما تزول ويعقبها الندم والحسرة على معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الذل والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

ولهذا تجد كثيرًا من الممثلين، والممثلات، ولا سيما ممثلين الأفلام الخليعة، تجدهم ينتحرون، وتكون نهايتهم الموت على هذه الحالة الشنيعة والعياذ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وتجد كثيرًا من المغنيين، ومن المزمرين، في آخر أمرهم إن لم يمن الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بالتوبة النصوح، إلى الانتحار، أو إلى الحالات النفسية.

وتجد كثيرًا من أصحاب الشرور والآثام، وإن حصل لهم الانتشار في فترة من الفترات، إلا أنهم يرجعون إلى ضيق الصدور، وهذا هو الذي أخبر به الله عَزَّوَجَلَّ.

حيث قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

فإن لم يجد الضنك في الدنيا، فإنه سيجده في قبره، وسيجده يوم القيامة، ولا شك، ولا ريب في ذلك، والله المستعان.

السعادة الدائمة المستمرة

ولكن هنالك سعادة مستمرة، سعادة دائمة.

سعادة لازمة في الدنيا، وتستمر مع صحابها في قبره، وتستمر مع صحابها في أجمل ما يكون من السعادة في الآخرة، وفي جنة الله عَزَّوَجَلَّ.

والجنة هي دار السعداء، ودار النعيم، ودار السعادة، ودار الخلود، ودار السرور، ودار التنعم.

وهم الذين قال الله سبحانه في كتابه عنهم: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ١٠٦
خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا
شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [١٠٥-١٠٨].

حالها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، عن أصحاب السعادة، وقال: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

فهم أصحاب السعادة؛ لأنهم سلكوا السبل الشرعية لتحصيل السعادة الحقيقية الدائمة واللازمة لهم.

وسواء كان ذلك في دنياهم؛ فتجد أن أحدهم ربما قل ماله، وقل ولده، ومع ذلك فتجده سعيدًا راضيـًا مطمئنـًا.

وإن كثر أعداؤه.

وإن كثرت أسقامه، وأمراضه، وأحزانه.

فسعادته سعادة شرعية؛ لأنه يرضى بقدر الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ويسلم، ويحتسب ذلك، ويعلم أن هذه الأمور سبب لتكفير الذنوب والمعاصي عنه، وسبب لرفعته عند الله عَزَّوَجَلَّ في درجات الجنة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»، أخرجه مسلم.

فهو يحتسب المقلقات، والمؤذيات، والمحزنات، وما ينوبه من أمور الدنيا المتعبة.

فهو يعلم أنها من أسباب الرفعة عند الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا، وفي الآخرة، وفي جنة الله عَزَّوَجَلَّ، وعن أبي هريرة وأبي سعيد، قال رسول الله ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**»، أخرجه مسلم.

وإن فتح الله عَزَّوَجَلَّ: عليه في أمور مفرحات، في الصحة، والعافية، والرزق الطيب، والزوجة الصالحة، أو الزوجات الصالحات، وفي الأولاد البارين الصالحين، وغير ذلك.

بحيث: أنه كثر ماله، وعظم جاهه، وزاد مقداره عند الناس، وحصلت له الراحة والسعادة لنفسه.

فإنه يحمد، ويشكر الله عَزَّوَجَلَّ على أنه أنعم عليه بهذه الأمور الطيبة؛ فيكون حاله سعيدًا.

جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث صُهيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

فالمؤمن إن أصابته سراء شكر الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك، أصابته سعادة: "طعمها، ذاقها، لمسها".

أصابته صحة في البدن، وكثرة في الأموال، وكثرة في الأولاد، وسعة في الدار، وحسن المركب، والزوجة الصالحة، وصلاح الأبناء، إلى غير ذلك من أمور السعادة والنعم التي يمن الله عَزَّوَجَلَّ بها على من يشاء من عباده بفضله وبرحمته.

فإنه يشكر ويحمد الله عَزَّوَجَلَّ على تلك النعم، ويزداد تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ، وعبادةً، وطاعةً، واستقامةً على دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وبذلك يتحصل على الزيادة من الله عَزَّوَجَلَّ على هذه النعم، وتستقر معه.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فشكر الله عَزَّوَجَلَّ على النعم يكون سببًا في استقرارها وعدم ذهابها، وفي زيادتها، وفي نمائها.

والشكر يكون: بالقلب، واللسان، والجوارح.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٩).

فهذه هي حقيقة الشكر: أن يعترف بقلبه لله عَزَّوَجَلَّ على نعمه، وأن يثني عليه بلسانه، وأن يسخر جميع جوارحه في طاعته وعبادته.

وإن أصابته ضراء صبر عليها.

والضراء: شدة، مرض، فقر، موت، حزن، هم، غم، ونحو ذلك مما يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ عباده المؤمنين.

فإنه يصبر على ذلك، ولا يتسخط، ولا يجزع، وهذا هو الواجب عليه، وهي الدرجة الأولى.

وإن حمد الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك كان خير له، ويعتبر هذا في حقه مستحبًا، وهي الدرجة الثانية.

وإن رضي بذلك وسلم لله عَزَّوَجَلَّ كان أجره أعظم، ودرجته أعظم الدرجات عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهي الدرجة الثالثة.

فيكون خيرٌ له عند الله عَزَّوَجَلَّ.

فالمؤمن في الحالين يعتبر سعيداً.

في حالة السراء والغني والسرور سعادته؛ لشكره لربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وفي حالة الضراء والمرض والفقر سعادته؛ لصبره على ما ابتلاه به ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعلى ما يؤمل من الأجر والمثوبة.

فهو إما سعيد لما نال من أسباب السعادة والمفرحات.

وإما سعيد لما يرجوه عند الله عَزَّوَجَلَّ من الثواب والأجر على المحزنات.

والنبي ﷺ ذكر لنا أربعـًا من أسباب السعادة.

كما جاء في صحيح الإمام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضيق، والمركب السوء**»(١).

فهذه من أسباب السعادة: أن الإنسان يرتاح، ويكون له بيتٌ ومسكنٌ واسعٌ، لإبنائه، إن شاء أن يعطيهم من غرفة غرفة لكل واحد منهم، أو يعطي البنات غرفة والذكور غرفة.

وإن جاءه ضيف أسكنه ووسع عليه في المسكن.

فهو لا يجد ضيقًا في المسكن؛ لأنه واسع والحمد لله، يكفيه ويكفي أولاده، وضيوفه، ونحو ذلك.

وهكذا المركب الهنيء.

كأن يكون سيارة، أو باصًا، أو سفينة، أو ما يقوم مقام ذلك من وسائل المواصلات الحديثة.

وكان في الزمن الماضي: البعير، والخيل، والحمار، والبغل، ونحو ذلك.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعليقات الحسان برقم (٤٠٢١)، وقال فيه: صحيح. وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٢٨٢)، وقال فيه: "وهذا سند صحيح على شرط الشيخين". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٣٧٨).

فيركبه: في أسفاره، وفي تنقلاته، دون تعب، ودون عناء وشدة.

وهكذا: الزوجة الصالحة.

لأن الزوجة: شريكة للإنسان طيلة بقائها معه في حياته.

فإن شئت أن تقول: أنها صارت في مرتبة الأم؛ من حيث تفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، وتهتم به في مرضه، وتطبخ له، وتنظف ملابسه، وتنظف بيته، وتربي أولاده، وتعلمهم، وتقوم على شؤونهم، وتضيف أضيافه، وتكرم أقاربه وقريباته، وتحفظ بيته وماله في غيابه، ولا تأذن لأحد بالدخول إلى بيته إلا بإذنه، وهكذا.

والرجل قبل زواجه: كان عند أمه على هذا الحال.

والزوجة: تكون أيضًا في مرتبة الأخت.

وذلك: من حيث المؤانسة، ومن حيث إدخال السرور عليه.

والزوجة: تكون أيضًا في مرتبة الاستمتاع.

من حيث: أنه يقضي شهوته وحاجته بالحلال.

وقد جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**» (١).

وهي في ذلك: في حسن حال، وفي حسن مقال.

إن نظر إليها سرته، وإن غاب عنها حفظته، وإن سمع كلامها ارتاح لكلامها.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٤٦٧).

إلى غير ذلك: من أسباب السعادة من الزوجة الصالحة.

وكذلك: ستكون بينها وبين زوجها المودة، والرحمة، والألفة، وغير ذلك.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٦/ ٣٠٩):

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾.

أَيْ: خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ إِنَاثًا يَكُنَّ لَكُمْ أَزْوَاجًا، ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٩].

يَعْنِي بِذَلِكَ: حَوَّاءَ، خَلَقَهَا اللهُ مِنْ آدَمَ مِنْ ضِلَعه الْأَقْصَرِ الْأَيْسَرِ.

وَلَوْ أَنَّهُ: جَعَلَ بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ ذُكُورًا وَجَعَلَ إِنَاثَهُمْ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ إِمَّا مِنْ جَانٍّ أَوْ حَيَوَانٍ، لَمَا حَصَلَ هَذَا الِائْتِلَافُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ.

بَلْ كَانَتْ: تَحْصُلُ نَفْرَة لَوْ كَانَتِ الْأَزْوَاجُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ.

ثُمَّ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ: بِبَنِي آدَمَ أَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ.

مَوَدَّةً: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ.

وَرَحْمَةً: وَهِيَ الرَّأْفَةُ.

فَإِنَّ الرَّجُلَ: يُمْسِكُ الْمَرْأَةَ إِمَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهَا، أَوْ لِرَحْمَةٍ بِهَا، بِأَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْهُ وَلَدٌ، أَوْ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ فِي الْإِنْفَاقِ، أَوْ لِلْأُلْفَةِ بَيْنَهُمَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. اهـ

ولكن: لا بد أن تكون الزوجة صالحة بهذا القيد.

أما الزوجة الغير صالحة: حتى وإن كانت جميلة، وكانت ذات مال، وكانت ذات حسب ونسب؛ فالسعادة في الحياة معها ستكون مشوبة بالذنوب والمعاصي والمخالفات لشرع الله عَزَّوَجَلَّ.

بل: ستكون من أسباب التعاسة لزوجها؛ إن هو وافقها على معصية الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أحسن من قال:

وخير ما يدخره الإنسان في = دنياه كما يستقيم دينه

قلباً مشكوراً ولساناً ذاكراً = وزوجة صالحة تعينه

وهكذا: **الجار الطيب الصالح**.

فهو: سالم من جاره، لا يؤذيه، ولا يتعبه، ولا يتعدى عليه، ولا يظلمه، ولا يأخذ حقه، في بيته، وأرضه، ونحو ذلك.

فهو لا يؤذيه: في مدخله، ولا في مخرجه، ولا في أهل بيته، ولا في أولاده، ولا في ماله، ولا في أرضه، ولا في شيء عائد إليه.

فهذه الأمور: إن تيسرت للإنسان رُجيَ له سعادة في حياته الدنيا، ورُجيَ له راحة، وطمأنينة.

وجاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ**»[(١)].

قال الإمام المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في فيض القدير عند حديث رقم** (٣٤٦٠):

- (ثلاث خصال من سعادة المرء المسلم في الدنيا الجار الصالح).

أي: المسلم الذي لا يؤذي جاره.

(والمسكن الواسع).

أي: الكثير المرافق بالنسبة لساكنه ويختلف سعته حينئذ باختلاف الأشخاص فرب واسع لرجل ضيق على آخر وعكسه.

(والمركب الهنيء).

أي: الدابة السريعة غير الجموح والنفور والخشنة المشي التي يخاف منها السقوط وانزعاج الأعضاء وتشويش البدن.

وفي إفهامه: أن الجار السوء، والمسكن الضيق، والمركب الصعب من شقاوته.

وبذلك أفصح في رواية ابن حبان وجعلها أربعا بزيادة خصلة في كل من الجهتين.

فأخرج من حديث إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «أربع من السعادة المرأة الصالحة والمسكن الواسع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٣٧٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٥٧٥) وقال فيه: "صحيح لغيره".

والجار الصالح والمركب الهنيء وأربع من الشقاوة الجار السوء والمرأة السوء والمسكن الضيق والمركب السوء». اهـ

وقال الإمام المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير عند حديث رقم (٩٢٠):

- (أربع من سعادة المرء) **أي**: من بركته ويمنه وعزه.

(أن تكون زوجته صالحة) **أي**: دينه جميلة إذ المراد الصلاح لما يراد منها دينا ودنيا.

(وأولاده أبرارا) **أي**: يبرونه ويتقون الله.

(وخلطاؤه) **أي**: أصحابه وأهل حرفته الذين لا بد له من مخالطتهم.

(صالحين) **أي**: قائمين بحقوق الله وحقوق خلقه.

(وأن يكون رزقه) **أي**: ما يرتزق منه من حرفة أو صناعة أو تجارة.

(في بلده) **أي**: في محل إقامته بلدا كان أو غيره.

وخص البلد: لأن الغالب الإقامة فيه.

والمراد: أنه ليحصل كد الأسفار الشاسعة واقتحام المفاوز النائية وهذه حالة فاضلة، وأعلى منها أن يأتيه من حيث لا يحتسب كما مر في خبره.

ويقاس بالرجل: المرأة فيقال: "أربع من سعادة المرأة أن يكون زوجها صالحا وهكذا". اهـ

بيان السعادة الحقيقة المرغوبة عند عقلاء الناس وصلحائهم

لكن مما سبق: **هل هذه هي السعادة التي يرغب فيها العقلاء والصلحاء من الناس؟**

الجواب: هذه من السعادة، وليست هي كل السعادة المطلوبة.

❀ **فالسعادة الحقيقية**: هي سعادة الاستقامة على دين الله عَزَّوَجَلَّ: "قولًا، وفعلًا، واعتقادًا، ودعوةً".

السعادة الحقيقية: هي التي تجلب لصاحبها رضى الله عَزَّوَجَلَّ عنه في الدنيا، والآخرة.

❀ **وهي** السعادة في التوفيق للعمل بهذا الدين الحنيف.

فمن كان من أهل الإسلام: فسعادته الحقيقية هي بالاستقامة على دين الإسلام الحنيف.

ومن كان من المسلمين العاملين بهذا الدين: يحتاج إلى سعادة أكبر في علمه، وفي تعلمه لهذا الدين.

ومن كان من أهل الكفر والشرك: فسعادته الحقيقية هي التوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ له، لأن يدخل ويكون من أهل هذا الدين الحنيف، وإلا فالشقاوة الأبدية.

بيان أسباب السعادة الحقيقة

ولذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ: أسبابًا كثيرة لتحصيل السعادة الحقيقية التي تكون لصاحبها في الدين، والدنيا والآخرة في جنة الله عَزَّوَجَلَّ.

❀ **وهذه الأسباب تنقسم قسمين**:

الأول: أسبابٌ قدرية.

الثاني: أسبابٌ شرعية.

فالإنسان: الذي يريد أن يتحصل على هذه السعادة؛ فلا بد له من فعل الأسباب التي ينال بها هذه السعادة.

فالإنسان: إذا أراد أن يأكل الطعام، أو يشرب الشراب؛ فلا بد له من فعل الأسباب التي يتحصل به على الطعام، والشراب.

فيذهب: إلى السوق ويشتري الطعام، ثم بعد ذلك يطبخه، ثم بعد ذلك يأكله، وهكذا.

فهناك أمور شرعية لتحصيل السعادة.

فلا بد للإنسان أن يقوم بها حتى ينال بها السعادة: "في دنياه، وفي دينه، وفي آخرته".

حتى يسعد، ويرتاح، ويطمئن، ويحصل له السرور، إلى غير ذلك.

١) الدخول في الإسلام والعمل به أوسع أبواب السعادة

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فهذا من أعظم أسباب السعادة في الدنيا، والآخرة.

أن الله عَزَّوَجَلَّ: يشرح صدر الإنسان لهذا الدين.

فهذا الدين، دين كامل، وشامل، وتام، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

فبه: صلاح الدنيا.

وبه: صلاح الآخرة.

فليس في الإسلام: رهبانية النصارى.

بحيث كان أحدهم يذهب إلى صومعة، ويحبس نفسه فيها.

بل ويتعب نفسه طول الليل، وطوال النهار، وهو مع العبادة.

ويحرم على نفسه الزواج.

وهو مع ذلك منعزل عن مخالطة الناس، وربما يحرم نفسه من الأكل الطيب ومن اللحوم ونحو ذلك.

وربما لا يتكلم مع أحد من الناس.

فيبقى مجاهدًا لنفسه على هذه العبادة المبتدعة التي لم يكتبها الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ولم يفرضها عليه، وإنما كلف نفسه ما لم يكلفه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلهذا شق عليهم ذلك.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٨/ ٢٩):

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ **أَيِ**: ابْتَدَعَتْهَا أُمَّةُ النَّصَارَى.

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ **أَيْ**: مَا شَرَعْنَاهَا لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُمُ الْتَزَمُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾.

فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ قَصَدُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللهِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ.

وَالْآخَرُ: مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ إِنَّمَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ **أَيْ:** فَمَا قَامُوا بِمَا الْتَزَمُوهُ حَقَّ الْقِيَامِ.

❀ **وَهَذَا ذَمٌّ لَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: فِي الِابْتِدَاعِ فِي دِينِ اللهِ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللهُ.

وَالثَّانِي: فِي عَدَمِ قِيَامِهِمْ بِمَا الْتَزَمُوهُ مِمَّا زَعَمُوا أَنَّهُ قُرْبَةٌ يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ، عَزَّوَجَلَّ.

وَفِيهِ: " ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَصَدَّقُونِي. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: وَهُمُ الَّذِينَ كَذَّبُونِي وَخَالَفُونِي". اهـ

وليس في الإسلام: ما عليه أهل الإعراض.

من معاقرة الخمور، ومعاقرة الزنى، ومعاقرة المؤذيات، والملهيات، وغير ذلك من الفواحش والمحرمات والمخالفات.

فالدين الإسلامي دين عظيم شامل كامل تام لكل ما يحتاج إليه المسلم من أمر دينه، ودنياه، وآخرته، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

فيستطيع الإنسان أن يعيش فيه طائعًا لله عَزَّوَجَلَّ، مع عدم تضييع حق نفسه، وحق أهله، وحق أولاده، وحق أبويه، وحق أقاربه، وحق جيرانه، وحق أضيافه، وجميع الحقوق التي أوجبها الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

أخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم** (١٩٦٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثنا مُحمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنا أَبُو العُمَيْسِ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَزارَ سَلْمانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: "**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**"، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**».

وكانت هذه الزيارة وهذا الحوار قبل أن يفرض الحجاب على المسلمات.

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "**بَابٌ: لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ**".

وأخرج في صحيحه برقم (٥١٩٩):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا الأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَلاَ**

تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا». وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١١٥٩).

وفي رواية أخرى في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَكِنْ قَالَ: «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

وجاء في الصحيحين:

من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (١).

فإذا سلكت هذا المسلك، وأديت الحقوق لأهلها.

فأديت حق الله عَزَّوَجَلَّ من العبادة والطاعة بقدر المستطاع واجتناب المحارم والمعاصي.

وأديت حق نفسك، وحق والديك، وحق زوجتك، وحق أولادك، وحق جيرانك، وحق أضيافك، وحق أقاربتك، وحق غيرك من المسلمين مما استعملك الله عَزَّوَجَلَّ عليه، بقدر استطاعتك وطاقتك؛ حصلت لك بذلك السعادة الحقيقية.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٩٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢٩).

وانشرح صدرك، واطمأنت نفسك، وهدأ بالك، وسكن حالك، وصلحت حياتك وييسر الله عَزَّوَجَلَّ لك كل خير، وصرف الله عَزَّوَجَلَّ عنك كل شر وضير بإذنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

نرجع إلى الآية السابقة، وهي قول الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

فما هو هذا النور؟ هل هذا النور هو عبارة عن ضوء يوضع في بيته، أو في غرفته، أو في مكان عمله، أو نحو ذلك؟

الجواب: لا، ليس المقصود من النور هذا المعنى.

فالذي ذكر نور حسي.

والمراد من الآية: النور المعنوي.

فهو نور يستنير به في هذه الحياة الدنيا، ويهتدي به إلى الحق.

فهو نور الإيمان، نور الهدى، نور التقوى، نور الاستقامة على شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

نور يميز به الحق من الباطل.

نور يميز به السنة من البدعة.

نور يميز به الحلال من الحرام.

نور يضيئه في قبره.

نور يضيئه في مروره على الصراط يوم القيامة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فتجد صاحب هذا النور ملازماً للطاعات والعبادات، ومبتعداً عن المعاصي والسيئات والمحرمات.

وتجده ملازمـًا للحلال، ومبتعدًا عن الحرام.

لأن الله عَزَّوَجَلَّ: شرح صدره للإسلام، ولأعمال الإسلام، فهو على نور من ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، نور بين واضح.

لأن النور لا يختفي، ولا ينطفئ، ولا يتأثر بما حوله، ولا يضمحل، ولا ينتهي، ولا يتلاشى، بل يبقى معه ملازمـًا له في جُلِّ أوقاته.

لو كان النور نار؛ فالنار تتأثر بالريح وربما تنطفئ، وربما تتأثر بالماء وتنطفي، ويلحقها ما يحقها من الضعف والتلاشي والاضمحلال.

لكن النور بخلاف ذلك، لا يحصل له شيء مما ذكر.

بل هو نور مستمر ملازم قوي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وهبه له النور، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور:٣٥].

بيان أن من أراد تحصيل السعادة الحقيقية ينظر أين هو من الإسلام

فلذلك من أراد تحصيل السعادة الحقيقية، فعليه: أن ينظر في حاله أين هو من الإسلام، ومما جاء في الإسلام من الأقوال، والأعمال، والمعتقدات، والمنهيات، والمحرمات، وغير ذلك.

والمراد بالإسلام هنا: الإسلام الصحيح الذي بعث به النبي ﷺ، والذي أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ.

الذي كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾.

فالسعادة الحقيقية: لا تكون إلا لمن عمل بالإسلام الصحيح.

أما أن تنظر: إلى حال المسلمين العصاة، المفرطين، المقصرين، أو غير ذلك.

ثم تقول: والله ما وجدنا السعادة، ولا رأينا السعادة.

وأنتم تقولون: السعادة في الإسلام.

نقول: قصرت لأنك ما أخذت بالإسلام كما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ، وكما جاء به النبي ﷺ.

وكما عمل به: النبي ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم.

أما: أذا عملت بالإسلام الصحيح، والله أنك ستجد من السعادة، وستجد من الانشراح ما الله به عليم.

يا أخي: "بلال بن رباح رَضِيَٱللَّهُعَنهُ" يُعذب في مكة، يعذبه المشركون حتى يرجع عن هذا الدين، وهو يقول: "أحد أحد".

كما جاء في سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُٱللَّهُ:

من حديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: " كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: "**أَحَدٌ أَحَدٌ** "(١).

وكذلك: خبيب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ **يقدم للموت**: رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وهم يقولون له: أتتمنى أن يكون محمد مكانك فيما أنت فيه، وأنت سالم من هذا الحال؟ **فيقول لهم**: والله ما أتمنى أن يكون في النبي ﷺ شوكة، وأنا في سلام.

كما جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قَالَ: «**بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ**» وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (١٥٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ برقم (٨٤٧)، وقال فيه: "هذا حديث حسن".

بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، وَجَاءَ القَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا، أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسًى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ المُوسَى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَكَانَتْ تَقُولُ: **"مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ"**، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَـا أُبَـالِي حِـينَ أُقْتَـلُ مُسْـلِمًا عَلَـى أَيِّ شِـقٍّ كَـانَ لِلَّـهِ مَصْـرَعِي
وَذَلِـكَ فِـي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَشَـأْ يُبَـارِكْ عَلَـى أَوْصَـالِ شِـلْوٍ مُمَـزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ"[(١)].

فقد كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ يعذبون في الله عَزَّوَجَلَّ، وهم مع ذلك سعداء.

وكانوا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: يقل طعامهم، وهم مع ذلك سعداء.

وكانوا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: يكثر عليهم الأعداء، وهم مع ذلك سعداء.

كانوا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: يستبشرون بما هم فيه من الخير العظيم.

كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٣].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٨٦).

لأنهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علموا أن دين الإسلام الحنيف، هو دين الله عَزَّوَجَلَّ الذي يتعين على الجميع أن يدخلوا فيه، ويرضوا به، ويتعلموه، ويعملوا به، وأن يدعوا إليه، ويصبروا على الأذى الذي ينالهم في سبيل تبلغيه للناس.

ولأنهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: علموا أن السعادة في هذا الدين الذي لا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من عباده دينًا سواه يوم القيامة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥].

ومفهوم الآية: أن من اتبع الدين الإسلامي، وتعلمه، وعمل به، ودعا إليه، وصبر على الأذى فيه؛ أنه من الرابحين، والفائزين، ومن السعداء في الدنيا، والآخرة.

وسواء ذلك: في الأمور التي تراها أنت أنها مسعدة، وتجلب لك السعادة، أو تراها غير ذلك.

لأن العبرة: بما وافق الدين، وبما جاء به الدين الإسلامي الحنيف، وليس بما وافق الأهواء، والآراء، والأنفس.

جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُٱللَّهُ:

من حديث رَافِعِ بْنِ خَدِيج رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: "كُنَّا نُحَاقِلُ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنُكْرِيهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ، وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّى، فَجَاءَنَا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ مِنْ عُمُومَتِي، فَقَالَ: نَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا، «**نَهَانَا أَنْ نُحَاقِلَ بِالْأَرْضِ فَنُكْرِيَهَا عَلَى الثُّلُثِ، وَالرُّبُعِ، وَالطَّعَامِ**

الْمُسَمَّى، وَأَمَرَ رَبَّ الْأَرْضِ أَنْ يَزْرَعَهَا، أَوْ يُزْرِعَهَا، وَكَرِهَ كِرَاءَهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ»[(١)].

والمعنى: أنهم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ كانوا يرون أن الرفق، والمصلحة لهم، فيما يفعلونه في أراضيهم من تأجيرها على الربع، أو على الثالث، أو على الطعام المسمى.

فهم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: كانوا يتحصلون من ذلك على بعض الأموال، والمنافع، من هذا التأجير.

فكانوا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: يأجرون أراضيهم ويستلمون من المال مقابل هذا الإيجار.

فنهاهم: النبي ﷺ عن إجارة الأرض على هذه الهيئة، أي بما يخرج منها من الربع، أو من الثلث، أو نحو ذلك.

لأنهم: قد يحصل ظلم على المستأجر، وذلك إذا كان الخارج من الأرض قليل بالنسبة لما قد دفعه من المال في سبيل الزراعة فيها؛ وذلك بسبب قلة الأمطار، أو حصول بعض الآفات التي تصيب المحاصيل الزراعية فينقص الخارج منها، بالنسبة لما يدفعه المستأجر من المال، بالإضافة إلى التعب والعمل.

وإنما رخص: النبي ﷺ لهم بالإجارة بالذهب، أو بالورق، أو بنحو ذلك.

ولهذا قال رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن طواعية الله عَزَّوَجَلَّ، وطواعية النبي ﷺ أرفق بهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يعلم بمصلحة العباد كلهم، سواء في ذلك المؤجر، أو المستأجر؛ فلا يُظلم أحد منهم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٤٨).

فتبين من ذلك: أن الرفق كل الرفق، والمصلحة كل المصلحة؛ إنما تكون في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وفي طاعة النبي ﷺ، وفي موافقة هذا الدين الإسلامي الحنيف.

فعلينا جميعًا: أن نفرح بهذا الإسلام، وأن نأخذ به، وأن نتعلمه، وأن نعمل به، وأن ندعو إليه، وأن نصبر على الأذى الذي قد يصيبنا في سبيل تبليغنا ودعوتنا لهذا الدين الحنيف.

وعلينا جميعًا: أن نسعد بهذا الإسلام، وأن ننقاد إلى هذا الدين.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢٠٩].

أي: خذوا الإسلام من جميع جوانبه.

بحيث أنكم: تحلون حلاله، وتحرمون حرامه، وتصدقون أخباره وقصصه، وتعملون بأوامره، وتجتنبون نواهيه وزواجره.

فمن: عمل بذلك، والتزم، وجد السعادة في قلبه، وفي بيته، وفي حياته.

على: أي حال كان فيه، سواء كثر أو قل ماله، وسواء كثر أم قل ولده، وسواء كان صحيحًا، أو كان مريضًا في جسده، وغير ذلك.

فإن: كثر ماله، وولده، وزوجه؛ علم أن ذلك من فضل الله عَزَّوَجَلَّ عليه؛ فشكر الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك.

ومن الشكر لله عَزَّوَجَلَّ على ذلك: أنه يؤدي الحقوق التي تجب عليه في هذا المال: من الزكاة الواجبة، ومن النفقة الواجبة على الزوجة والأولاد، وعلى الأبوين، ومن النفقات المستحبة في مصالح المسلمين، وغير ذلك.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: هو الذي أعطاه، وهو الذي أنعم عليه، وهو الذي وسع عليه، وهو الذي تفضل عليه.

وإن قل: ماله، وقل ولده، وابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ بالمرض، وغير ذلك.

علم: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد ابتلاه؛ فصبر على ذلك، فيكون له الأجر والثواب والسعادة على صبره.

فإنه: قد علم أن الأمر كله لله عَزَّوَجَلَّ، فإن شاء أعطاه، وإن شاء منعه.

٢) التوحيد من أعظم أسباب السعادة

وأيضًا: أعظم أسباب السعادة هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

والتوحيد: هو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يجب له.

وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يختص به من: "ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات".

والتوحيد هنا المراد منه: هو توحيد العبادة، وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

فأنت: إذا وحدت الله عَزَّوَجَلَّ في قولك.

فلا تحلف إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تدعو إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تستغيث إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تستجير، ولا تستعين؛ إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وهكذا وحدت الله عَزَّوَجَلَّ في أفعالك.

فلا تذبح، ولا تنذر إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

ويكون: حجك، وطوافك بالبيت، وعمرتك، وصلاتك؛ وكل أفعالك لله عَزَّوَجَلَّ.

وهكذا وحدت الله عَزَّوَجَلَّ في اعتقادك.

فلا تخف خوف العبادة إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تخشى خشية العبادة إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ترهب إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تتوكل إلا على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ترغب

في الأجر والثواب إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ترجو الخير كله في الدنيا، وفي الآخرة إلا من الله عَزَّوَجَلَّ.

فهنا ستجد السعادة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

ستلقى السعادة في الدنيا والآخرة؛ إذا وحدت الله عَزَّوَجَلَّ.

قلبك مطمئن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٤].

فحين: أن تعمل لأبيك عمل يرضيه عنك، فيثني عليك، ويشكرك على هذا العمل، فكم ستسعد بهذا الثناء من أبيك، وكم ستفرح بهذا؟

الجواب: ستسعد كثيرًا.

وكذلك: لو عملت مع مدير في العمل عملًا متقنًا وشكرك، وأثنى عليك بذلك العمل، كم ستسعد بذلك؟

الجواب: ستسعد كثيرًا.

فكذلك: لو أنك وحدت الله عَزَّوَجَلَّ في عبادتك له، كم ستسعد، وكم ستفرح إذا رضي الله عَزَّوَجَلَّ عنك؟

الجواب: لا مقارنة، فالسعادة هنا هي من معطي السعادة، وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: إذا رضي عنك أرضاك في دنياك، وفي آخرتك.

ورضى الله عَزَّوَجَلَّ هو أعلى نعيم في الجنة مع النظر إلى وجهه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

لما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: **"أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"**»(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٤٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٢٩).

أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ »[١].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: إذا رضي عن عبده أرضاه، ليس في دنياه فقط، بل في قبره؛ بل في آخرته.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "بَابٌ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٥٠٧):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ: "إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» اخْتَصَرَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَمْرٌو، عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

والحديث: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٨٣ — ٢٦٨٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨١).

وأخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم** (٦٥٠٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٨٦).

وأخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم** (١٥) – (٢٦٨٤):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّزِّيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهُجَيْمِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «**لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

(كره الله لقاءه) هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله.

ومعنى الحديث: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها.

فحينئذ: يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه، وما أعد له ويكشف له عن ذلك.

فأهل السعادة: يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم، محبة تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولحبه لهم يجزل لهم العطاء والكرامة.

وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه.

ويكره الله لقاءهم، كراهة تليق بجلاله، فإذا كرههم أبعدهم عن رحمته وكرامته.

فعند أن يعاين الإنسان ملائكة الموت، عند ذلك إن بشرته بالخير فإنه يحب لقاء الله عَزَّوَجَلَّ.

وإن بشرته الملائكة عليهم السلام بغير ذلك، كره لقاء الله عَزَّوَجَلَّ.

فهو لماذا يحب لقاء الله عَزَّوَجَلَّ، لأن الملائكة عليهم السلام تبشره بقولها: أبشر بروح وريحان، ورب غير عضبان.

كما جاء ذلك في السنن:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: "**اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ**"، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: "**مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ**"، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ، وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ،

ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ» [(١)].

ويرى المؤمن ملائكة بيض الوجوه، معهم كفن من الجنة، وحنوط من الجنة.

كما جاء في مصنف ابن أبي شيبة:

من حديث الْبَرَاءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، ثَلَاث مَرَّاتٍ، أَوْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، حَتَّى يَجْلِسُونَ مِنْهُ، مَدَّ الْبَصَرِ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ"، فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ،**

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٨٣٣)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٢٦٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٣٠٩)، وقال فيه: أخرجه النسائي (١/ ٢٦٠) وابن حبان (٧٣٣) والحاكم (١/ ٣٥٢ و ٣٥٣) من طريق قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: : فذكره. وقال الحاكم: " صحيح الإسناد ". ووافقه الذهبي وهو كما قالوا.. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٣١٥)، وقال فيه: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين".

فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: "هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ: **"اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ"**،... إلخ »[(١)].

فهنا يرى أنه سعد سعادة لم يسعد قبلها، ولن يسعد بعدها إلا عند دخوله إلى جنة الله عَزَّوَجَلَّ، وعندما يحل الله عَزَّوَجَلَّ عليه رضوانه، وعندما ينظر إلى وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما سبب هذه السعادة، التي وقع فيها؟

الجواب: هو ما كان عليه من العمل الصالح في حياته الدنيا، ما كان عليه من التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ، ما كان عليه من الإسلام الصحيح الذي بعث الله عَزَّوَجَلَّ به نبيه ﷺ، وما كان عليه من الانقياد لهذا الدين، ومن الاتباع لسنة النبي ﷺ قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

فالأسباب يسيرة ويستطيع بحمد الله عَزَّوَجَلَّ الجميع منا أن يعمل بها.

حتى الضعيف والمريض والمشلول، يستطيع بفضل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعمل بها.

والقوي يستطيع أن يعمل بها.

(١) أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠٥٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المشكاة برقم (١٦٣٠)، وقال: "صحيح". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤١).

الرجل يستطيع أن يعمل بها.

والمرأة تستطيع أن تعمل بها.

وكذلك العربي والعجمي، والمدني والبدوي والحضري، والغني والفقير، وغير ذلك.

الخلاصة: كل مكلف من الإنس، ومن الجن يستطيع أن يعمل بها.

فهي أسباب في متناول الجميع لتحصيل السعادة لمن سلكها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وأخذ بها، واقتفى أثرها.

النبي ﷺ بعثه الله عَزَّوَجَلَّ في أناس كفره ظلمه فسقه.

يقتل أحدهم ابنته ويدفنها حية، أو يقتل حتى ابنه مخافة الفقر والفاقة، ولا يقبل من زوجته كلامًا، ويفعلون ما يفعلون من الإجرام.

فلما جاءهم النبي ﷺ بالإسلام، ووفقهم الله عَزَّوَجَلَّ للدخول في هذا الدين الإسلامي الحنيف، ووحدوا الملك العلام.

تغير شأنهم، وأصبحوا في غاية من التواضع، والرفق، والمحبة، والسلام، والهدى، والتقوى، والرحمة، والبشاشة، والإحسان، والسعادة، ومن كل خير.

وهذا كله بسبب دخولهم في الإسلام، وتوحيدهم للملك العلام، بعد توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لهم بذلك.

بيان سبب عدم الشعور بالسعادة من بعض المسلمين اليوم

فأنت لماذا لا تشعر بالسعادة أيها المحبط؟

الجواب: لأنك قد تظن أنه لن يفرج عنك في إحباطك، أو لن يفرج عنك فيما أنت فيه من الشدة، أو الكرب، أو الفقر، أو المرض، أو اليأس من الخير.

فقد تظن: أنه لن تقض حاجتك.

قد تظن: أنه لن يقض دينك.

قد تظن: أنه لن يصلح حالك.

قد تظن: أنه لن يعافَ مرضك.

فإذا حصل منك ذلك، فإنك ستبقى في حزن، وفي هم، وفي غم، وفي كرب، وفي شدة.

لكن لو كان العبد المسلم، متوكلًا ومعتمدًا على الله عَزَّوَجَلَّ، وواثقًا بالله عَزَّوَجَلَّ، راجيًا له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومحسنًا للظن بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأنه لن يتخلى عنه.

فعند ذلك: يكون انتظاره للفرج من الله عَزَّوَجَلَّ عبادة عظيمة.

وسيعيش مع الأمل بأن الفرج بإذن الله عَزَّوَجَلَّ قريب، ولكن متى ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ، ومتى ما حققت الأسباب الشرعية في حصول ذلك.

والأمل: سيذهب عنك الآلام النفسية بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وكما قيل:

اعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لو لا فسحة الأمل

فدائمًا أنت فقير ولكنك ترجو من الله عَزَّوَجَلَّ الغنى، سيأتي الفرج من الله عَزَّوَجَلَّ وسيغنيك من فضله، ولو طال الزمن؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة البالغة في تأخير ذلك إن أخره عنك.

وربما كان الفرج قريب بإذنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وفضله وإحسانه وجوده.

أو تكون من دون أبناء، وأنت ترجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقك الأولاد، وقد حققت الأسباب الشرعية في ذلك، من الدعاء، ومن الاستقامة على هذا الدين، ومن الزواج.

فأبشر بإذن الله عَزَّوَجَلَّ سيرزقك الله عَزَّوَجَلَّ الأبناء.

أو تكون مظلومًا في شيء، وترجو من الله عَزَّوَجَلَّ رفع الظلم عنك.

بإذن الله عَزَّوَجَلَّ سيرفع الله عَزَّوَجَلَّ عنك الظلم، وسينصرك على من ظلمك بإذنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فإن فعلت هذا فعلى أي حال أنت فيه تشعر بالسعادة، وتبقى سعيدًا؛ لما تؤمله من الله عَزَّوَجَلَّ في نيل مطلوبك بإذنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

لأن الله عَزَّوَجَلَّ سميع ومجيب الدعاء، ورافع البلاء، ومنزل الشفاء، ورازق الخلق كلهم، وناصر المظلوم ولو بعد حين.

جاء في الصحيحين:

من حديث عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] »[1].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٦٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٣).

الأخذ بسنة النبي ﷺ من أعظم أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: الأخذ بسنة النبي ﷺ.

قال المناوي في فيض القدير (٤/ ٣٦٢):

واعلم أن مصباح السعادة اتباع السنة والاقتداء بالمصطفى ﷺ في مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة أكله وقيامه وقعوده وكلامه قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ وذلك شامل لجميع الآداب. انتهى

فسنة النبي ﷺ رحمة للأمة.

سنة النبي ﷺ: رفق للأمة.

سنة النبي ﷺ: يسر للأمة.

سنة النبي ﷺ: هدى للأمة.

سنة النبي ﷺ: هي الطريق التي رضيه الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ، ولهذه الأمة.

النبي ﷺ: أعلم الناس بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وأعبد الناس لله عَزَّوَجَلَّ، وأتقى الناس لله عَزَّوَجَلَّ، وأخشى الناس لله عَزَّوَجَلَّ، وأكثر الناس مسارعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فكل وصف صالح: يطلق على النبي ﷺ.

إذًا: طريقته وهديه في العبادة هي الطريقة الصحيحة، وهي الذي يرضاه الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين، وهي الطريقة التي يقبلها الله عَزَّوَجَلَّ من عباده المؤمنين، وهكذا طريقته في الاعتقاد، وفي المعاملات.

فمن أراد السعادة فعليه ملازمة هدي النبي ﷺ، وطريقته: قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

ولا يميل عن ذلك يمنة، ولا يسرة.

ومن أراد السعادة: فعليه أن يتعلم ويعمل ويدعو إلى سنة النبي ﷺ، ويصبر على الأذى الذي يناله في سبيل الدعوة إلى ذلك.

من أراد السعادة الأبدية: فعليه أن يلزم عتبة العبودية.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ٤٢٩):

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ الْعُبُودِيَّةِ". اهـ

فلا تتعلق: بقبر، ولا بساحر، ولا بكاهن، ولا بعراف، ولا بمشعوذ، ولا بتقليد الكفار والمشركين، ولا بمخلوق من المخلوقين.

علق قلبك: بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وكن: متأسيًا برسول الله ﷺ، فهنا ستسعد، وتشعر بسعادة عظيمة لا يعلم بقدرها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكن: مقتديًا برسول الله ﷺ، تسعد وترجو السعادة العظيمة.

ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٢/ ٣٥٣-٣٥٤):

عند قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

أي: مَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُسْكِنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ مُرَافِقًا لِلْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ، وَهُمُ الصِّدِّيقُونَ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمُ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ صَلُحَتْ سَرَائِرُهُمْ وَعَلَانِيَتُهُمْ.

ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوْشَب، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّتِي قُبِضَ فِيهِ، فَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ**: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ.

وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: **"اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى" ثَلَاثًا ثُمَّ قَضَى، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ"**.

ذِكْرُ سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمي، عَنْ جعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبير قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَحْزُونٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "يا فلان، ما لي أَرَاكَ مَحْزُونًا؟ " قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ شَيْءٌ فَكَّرْتُ فِيهِ؟ قَالَ: "مَا هُوَ؟ " قَالَ: نَحْنُ نَغْدُو عَلَيْكَ وَنَرُوحُ، نَنْظُرُ إِلَى وَجْهِكَ وَنُجَالِسُكَ، وَغَدًا تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ فَلَا نَصِلُ إِلَيْكَ. فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَشَّرَهُ.

قَدْ رُوِيَ: هَذَا الْأَثَرُ مُرْسَلًا عَنْ مَسْرُوقٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَعَامِرٍ الشَّعْبِي، وَقَتَادَةَ، وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِهَا سَنَدًا.

وقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَهُ فَضْلٌ عَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ فِي دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ مِمَّنِ اتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، وَكَيْفَ لَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْجَنَّةِ أَنْ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ -يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةَ- فَقَالَ: يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ: **"إِنِ الْأَعْلَيْنَ يَنْحَدِرُونَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُمْ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي رِيَاضِهَا، فَيَذْكُرُونَ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَيَنْزِلُ لَهُمْ أَهْلُ الدَّرَجَاتِ فَيَسْعَوْنَ عَلَيْهِمْ بِمَا يشتهُون وَمَا يَدْعُونَ بِهِ، فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهِ".**

وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ:

فَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدَوَيْهِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أُسَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عِمْرَانَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللهِ: إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَاكَ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

وَهَكَذَا: رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَقْدِسِيُّ فِي كِتَابِهِ: "صِفَةُ الْجَنَّةِ"، مِنْ طَرِيقِ الطَّبَرَانِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ الْخَلَّالِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِمْرَانَ الْعَابِدِيِّ، بِهِ.

ثُمَّ قَالَ: لَا أَرَى بإسناده بأسا، والله أعلم. اهـ

فهذا الرجل خرج إلى النبي ﷺ وهو يبكي محزونـًا، يخاف أنه لن يلقى النبي ﷺ في الجنة، وفي يوم القيامة.

ولكنه: سعد سعادة عظيمة لما سمع النبي ﷺ يقرا عليه هذه الآية.

وليس هو فقط من سعد من ذلك، بل جميع من سمع وعلم بهذا الحديث عن النبي ﷺ فقد سعدوا السعادة العظيمة من ذلك.

وقد بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "بَابُ عَلاَمَةِ حُبِّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ".

لِقَوْلِهِ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

(إن كنتم...) المعنى طريق محبة الله تعالى حب رسوله ﷺ وعلامة حبه ﷺ اتباع شريعته بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦١٦٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

وأخرج في صحيحه برقم (٦١٦٩):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» تَابَعَهُ جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ قَرْمٍ، وَأَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٠).

(لم يلحق بهم) في العمل والفضيلة أي لم يعمل مثل عملهم.

(مع من أحب) مصاحب لمن أحبه في الدنيا بمنزلته في الآخرة.

وأخرج في صحيحه برقم (٦١٧٠):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثنا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثنا سُفْيَانُ، حَدَّثنا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**». **وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم** (٢٦٤١).

وأخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم** (٦١٧١):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثنا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنا أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا**» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٣٩).

فجميع من علم بهذه الأحاديث من المسلمين: يسعدون فسيكونون مع النبي ﷺ إن كانوا من الطائعين لله عَزَّوَجَلَّ، وللنبي ﷺ.

والمتأسيين والمحبين للنبي ﷺ، والمتبعين لسنته ﷺ.

ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بيان تأسي الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ في الأمور كلها

فقد كان بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يتأسى بالنبي ﷺ حتى في الأفعال الجبلية.

أما في باب: العبادات، والطاعات، والقربات، فحدث ولا حرج.

حتى أن بعضهم: رأى النبي ﷺ يحب الدباء، فجعل يتتبع الدباء، وهو أنس بن مالك خادم النبي ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: "إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا، فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ «يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ القَصْعَةِ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ» (١).

وجاء في رواية في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: "إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ خُبْزًا مِنْ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، قَالَ أَنَسٌ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٩٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٤١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوْلِ الصَّحْفَةِ»، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ.

وَقَالَ ثُمَامَةُ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَجَعَلْتُ أَجْمَعُ الدُّبَّاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ»[(١)].

(الصحفة) إناء كالقصعة المبسوطة.

فكيف: لو تأسينا بالنبي ﷺ في العبادات، والطاعات، والقربات.

فقد كان النبي ﷺ: يحب الصلاة، فنحب الصلاة.

كما جاء في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

من طريق سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[(٢)].

وجاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»[(٣)].

وكان النبي ﷺ: يحب الصيام، فنحب الصيام أيضًا.

وكان النبي ﷺ: يحب الزكاة، فنحب الزكاة أيضًا.

وكان النبي ﷺ: يحب الحج، فنحب الحج أيضًا.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٤٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٨٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٠٨٨).

وكان النبي ﷺ: يحب العمرة؛ فنحب العمرة أيضًا.

وكان النبي ﷺ: يحب المسارعة والمسابقة إلى الطاعات والقربات؛ فنحب المسارعة والمسابقة إلى الطاعات، وإلى القربات.

فهكذا: يكون التأسي بالنبي ﷺ.

فالمرء: مع من أحب.

٤) طلب العلم من أعظم أسباب السعادة

❀ **ومن أعظم أسباب السعادة**: طلب العلم الشرعي.

قال المناوي في فيض القدير (٥/ ٤١٨):

فالسعادة بالعلم لا بكثرة المال وكم من مكثر شقي ومقل سعيد وكيف يكون الجاهل الغني سعيدا ورذالة الجهل تضعه وكيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦/ ١٥٤) في شرح حديث: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له به طريقا إلى الجنة): فأبان أن العلم ساعد السعادة وأس السيادة والمرقاة إلى النجاة في الآخرة والمقوم لأخلاق النفوس الباطنة والظاهرة فهو نعم الدليل والمرشد إلى سواء السبيل. اهـ

فطلب العلم الشرعي، وتعلمه، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى ذلك من أعظم أسباب السعادة؛ بل إن السعادة تدخله من جهات عدة في الدنيا والآخرة.

فإن لم يتيسر طلب العلم الشرعي، فلا أقل من سماع الخطب، والمحاضرات، والدروس، وتوجيهات ونصائح أهل العلم من العلماء، وطلاب العلم.

فهذا من أعظم أسباب السعادة.

فربما يكون أحدنا مهمومًا فتسمع نصيحة بالصبر؛ فيسعد.

وربما يكون أحدنا خائفًا فيسمع نصيحة بالشجاعة؛ فيسعد.

وربما يكون أحدنا قد كثر عليه الأعداء والمتربصون، فيسمع نصيحة في التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الأمر كله بيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيسعد.

وربما يكون أحدنا جاهلًا للأحكام الشرعية، فيسمع، ويتعلم، وكلما ازداد علمًا ومعرفة للأحكام الشرعية؛ فيسعد.

والعلم ألذ من كثير من الملذات الدنيوية.

وَعَادَةُ الْعُلَمَاءِ رحمهم الله: يَتَلَذَّذُونَ بِالسَّهَرِ فِي التَّحْرِيرِ لِلْمَسَائِلِ.

قَالَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

سَـهَرِي لِتَنْقِيـــحِ الْعُلُـومِ أَلَـذُّ لِـي ... مِـنْ وَصْـلِ غَانِيَـةٍ وَطِيـبِ عِنَـــاقِ
وَتَمَـايُلِي طَرَبًـا لِحَـلِّ عَوِيصَـــةٍ ... فِـي الـذِّهْنِ أَبْلَـغُ مِـنْ مُدَامَـةِ سَـاقِي
وَصَـرِيرُ أَقْلَامِـي عَلَـى صَفَحَاتِهَـا ... أَشْـهَى مِـنَ الـدَّوْكَاءِ وَالْعُشَّـــاقِ
وَأَلَـذُّ مِـنْ نَقْـرِ الْفَتَـاةِ لِدُفِّهَـــا ... نَقْـرِي لِأُلْقِـيَ الرَّمْـلَ عَــنْ أَوْرَاقِـي
يـا مَـنْ يحـاول بالأمـــاني رُتْبَتـي ... كَـمْ بيـن مُسْتَغْـــلٍ وآخـرَ راقـي
أأبيــتُ سهـــران الـدُّجى وتبيتـهُ ... نومـًا وتبغـي بعـدَ ذاكَ لحِـــاقي

كما في حاشية ابن عابدين (١/ ٣١).

وقيل: هي للزمخشري المعتزلي الضال.

فقد: كان أهل العلم رحمهم الله عَزَّوَجَلَّ يسعدون بطلب العلم، ويسعدون في تحصيل مسائله، وفي تحصيل فوائده وشرائده.

فقد كانوا رحمهم الله تعالى: يسعدون مع ما يلاقون من الحر، ومن الجوع، ومن الفقر، ومن المرض، ومن التعب، ومن النصب، ومن السفر، وغير ذلك.

لكنها: سعادة عظيمة حين يحفظون، وحين يكتبون، وحين يدرسون، وحين يستفيدون، وحين يتعلمون سنة النبي ﷺ، وحين يحتسبون الأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ، وبعد ذلك حين يعلمون.

فمن أسباب السعادة: طلب العلم الشرعي بالإخلاص والصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ.

فينوي بطلب العلم الشرعي: أن يرفع الجهل عن نفسه، وعن غيره من المسلمين عندما يحتاج إليه.

ولذلك كان يقال: كن عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن عجزت عن حبهم؛ فلا تبغضهم.

❀ **فهنا أربع مراتب**:

فالأولى: أن تكون عالمًا بالعلم الشرعي، وهذا هي أكمل المراتب.

الثانية: أن تكون متعلمًا للعلم الشرعي بحسب طاقتك، واستطاعتك.

الثالثة: أن تكون محبًا لأهل العلم من العلماء وطلاب العلم.

الرابعة: أن لا تبغضهم؛ لأنهم حملة الدين، وورثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

فهنا: ستنال السعادة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

أخرج الإمام ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الإبانة برقم (٢١٠):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كُنْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، أَوْ مُحِبًّا، وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَةَ فَتَهْلَكَ**». قَالَ: فَقُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَنِ الْخَامِسَةُ؟ قَالَ: «**الْمُبْتَدِعُ**».

والمرء: مع من أحب يوم القيامة.

فمن أحب: الله عَزَّ وَجَلَّ، وأحب النبي ﷺ، وأحب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأحب السلف الصالح رضوان الله عليهم من: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين، وأتباع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومنهم: العلماء وطلاب العلم.

فإنهم: يكون يوم القيامة معهم، وكفى به فخرًا ومنقبةً ورفعة.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: "**بَابٌ: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**".

ثم أخرج برقم (٣٣٣٦):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - قَالَ اللَّيْثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**».

وأخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه برقم (١٥٩) - (٢٦٣٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**».

فالعلم: جنة في الدنيا، وهي جنة تؤدي بصاحبها إلى جنة الآخرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

جاء في السنن:

من طريق عَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣].

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٦٤١)، والإمام الترمذي في سننه (٢٦٨٢)، والإمام ابن ماجه في سننه (٢٢٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وقال الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٧٠): "حسن لغيره".

فكلما أزداد العبد علمًا، ازداد به رفعة عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعند عباد الله الصالحين، وازداد به سعادة، وازداد به سؤددًا.

لأنه قد علم بطرق السلامة فيعمل بها، وعلم بطرق المهانة فيجتنبها، إلى غير ذلك.

فالعلم يقود صاحبه العامل به إلى كل خير، وإلى رضوان الله عَزَّوَجَلَّ عنه في الدنيا، وفي الآخرة.

والعلم يبعد صاحبه العامل به، عن كل شر، وعن كل ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ عنه في الدنيا، وفي الآخرة.

فمن أراد السعادة الحقيقية في الدنيا، وفي الآخرة؛ فعليه أن يلزم مثل هذه المجالس العملية، التي فيها طلب العلم، وفيها النصح، وفيها التربية الصحيحة لما يصلح العباد والبلاد.

فبعد صلاة الفجر يقرأ الأذكار، ثم يقرأ القرآن الكريم، ويحفظه ما تيسر له.

فكم في القرآن الكريم من آيات الصبر.

وكم في القرآن الكريم من آيات الرجاء.

وكم في القرآن الكريم من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكم في القرآن الكريم من الأحكام، و الأوامر، والنواهي، وغير ذلك.

فتستفيد من ذلك كله، وينشرح صدرك، ويصلح حالك، ويصلح مآلك.

وهكذا مع أحاديث النبي ﷺ، ومع بقية العلوم.

جاء في السنن:

من حديث زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه خرج مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نِصْفَ النَّهَارِ، قُلْنَا: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِشَيْءٍ يَسْأَلُهُ عَنْهُ، فَقُمْنَا فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**».

وجاء في السنن:

من طريق عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[(١)].

وجاء في السنن أيضًا:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى، فَقَالَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[(٢)].

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٥٧)، والإمام ابن ماجه في سننه (٢٣٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٢٣١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

(نَضَّرَ اللهُ امْرَأً):

قال الخطابي: **دعا له بالنضارة وهي النعمة.**

يقال نضر ونضر، من النضارة.

وهي في الأصل: حسن الوجه والبريق. وأراد حسن قدره.

وقيل: روى مخففا وأكثر المحدثين يقول بالتثقيل، والأول الصواب.

والمراد: ألبسه الله النضرة وهي الحسن وخلوص اللون.

أي: جمله وزينه وأوصله الله إلى نضرة الجنة.

أي نعيمها ونضارتها.

قال ابن عيينة: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لهذا الحديث

وقال القاضي أبو الطيب الطبري: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أنت قلت (نضر الله امرأ) وتلوت عليه الحديث جميعه ووجهه يتهلهل. فقال لي " **نعم. أنا قلته** ".

(سَمِعَ مَقَالَتِي) **أي**: سمع بلا واسطة أو بواسطة.

وهي معنى: " سمع مقالتي ".

ولا يتقيد بالسماع من فيه ﷺ، وعلى هذا العلماء.

وبهاء الوجه والمنظر إنما يكون لصفاء القلب، وصفاء الداخل، لأن صفاء الخارج علامة على صفاء الباطن.

ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية: ٨-١٠].

فنعمت وجوههم: بسبب أعمالهم الصالحة التي عملوها في حياتهم الدنيا، وبسبب صفاء قلوبهم من الغل والحسد والخداع والأعمال السيئة.

فلذلك تجد سعادة عند طلاب العلم، ما ليست عند غيرهم من أهل الدنيا.

مع أن طلاب العلم ربما أموالهم قليلة، وبيوتهم متواضعة، ومراكبهم إن وجدت معهم فهي متواضعة أيضًا، وكثيرة أسقامهم، وكثيرة أعداؤهم، ولكنهم يتعلمون العلم فتنشرح له صدورهم، وتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم.

يعلمون قصص السلف الصالح رضوان الله عليهم، ويعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ ينصرهم على من عاداهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ ينصر من ينصر هذا الدين.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وجاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»(١).

وطلاب العلم يعلمون بالأحكام الشرعية؛ فيعملون بها بقدر استطاعتهم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

فيصلون كما صلى النبي ﷺ على حسب استطاعتهم.

ويحجون كما حج النبي ﷺ على حسب استطاعتهم.

ويزكون كما زكى النبي ﷺ على حسب استطاعتهم.

وهكذا في كل العبادات والطاعات والقربات، يتأسون بالنبي ﷺ على حسب قدرتهم.

فالمهم من هذا: أن العلم الشرعي جامع للكثير من أسباب السعادة، ومن أبوابها، وذلك لمن حسنت نيته، وأخلص لله عَزَّوَجَلَّ، وصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ، وعمل بما يتعلم، والله الموفق.

٥) الدعاء من أعظم أسباب السعادة

❀ **ومن أعظم أسباب السعادة**: الدعاء.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أنت مهموم: قل يا الله، وأبشر بالخير.

أنت مغموم: قل يا الله، وأبشر بالخير.

أنت حزين: قل يا الله، وأبشر بالخير.

جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ**» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»[١].

(مردفي) مركبي خلفه.

(راهقت الحلم) قاربت البلوغ.

(الهم والحزن) يتقاربان في المعنى.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٩٣).

إلا أن الحزن: إنما يكون على أمر قد وقع.

والهم: من أمر متوقع.

وقيل: هما بمعنى واحد.

وقيل: الهم لما يتصور من المكروه الحالي.

والحزن: لما وقع منه في الماضي.

(الكسل) التثاقل عن الأمر

(الجبن) ضد الشجاعة وهو الخوف والجزع من ملاقاة العدو ونحوه

(ضلع الدين) ثقله وشدته.

(غلبة الرجال) قهرهم.

وهو: أن يغلب على أمره، ولا يجد له ناصرا من الرجال؛ بل يغلبون عليه.

وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده:

من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا** "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ

يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: "أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ "»(١).

وجاء في السنن:

من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ -؟: «**أَللهُ أَللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «هَذَا هِلَالٌ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنُ جَعْفَرٍ هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ».

(الكرب) غم يأخذ النفس.

(الله الله ربي) **الأول**: مبتدأ.

الثاني: تأكيد له.

وربي: خبر.

وجملة: لا أشرك، خبر بعد خبر.

ومعنى: "لا أشرك به": **أي**: في العبادة، أو إثبات الألوهية.

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه فقال: "بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ".

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣١٨)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٨٢٢)، وقال فيه: "صحيح".

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٢٥)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٨٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٣٤٦):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، عَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**».

وَقَالَ وَهْبٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، مِثْلَهُ.

والحديث: **أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم** (٢٧٣٠).

هذا حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة.

قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

(عند الكرب) **أي**: عند حلوله.

والكرب: الحزن الذي يأخذ بالنفس.

إذًا: لما تدعو الله عَزَّوَجَلَّ في إزالة المخاوف المستقبلية، وفي إزالة ما قد مضى وذهب عنك من الأحزان، وعدم الندم على ذلك.

وكذلك كم جاءت من أدعية وفيها التعوذ من الكفر والشرك الذين هما سبب الشقاء والتعاسة على العبد في الدنيا وفي الآخرة.

وكذلك كم جاءت من أدعية وفيها التعوذ من الفقر: الذي هو سبب التعب والنصب.

وكذلك كم جاءت من أدعية وفيها التعوذ من عذاب القبر الذي هو أشد من ذلك.

كما جاء في السنن:

من حديث عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «**اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي**»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ**» فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ**»[(١)].

وجاء في سنن الإمام النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ**»، فَكُنْتُ أَقُولُهُنَّ، فَقَالَ أَبِي: أَيْ بُنَيَّ، عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا؟ قُلْتُ عَنْكَ، قَالَ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُهُنَّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ**»[(٢)].

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٩٠)، وحسن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن إسناده وقال: "حسن والإسناد".

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٤٧)، وحسن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن إسناده،

وجاء في السنن:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ**»(١).

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(٢).

(**الهرم**) كبر السن الذي يؤدي إلى ضعف القوى والأعضاء.

(**فتنة المحيا والمهات**) الاشتغال بزخرف الدنيا عن الآخرة.

وفتنة المهات: سوء الخاتمة عند الموت.

ولفظ الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه:

من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**».

(**العجز**) عدم القدرة على الخير وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وكلاهما تستحب الإعاذة منه.

وقال: "صحيح الإسناد".

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٤٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٢٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٦).

(**والجبن والبخل**) أما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالته المنكر، والإغلاظ على العصاة.

ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة: تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم، والجهاد.

وبالسلامة من البخل: يقوم بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود، ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له.

وجاء في السنن:

من حديث أَنَسٍ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّءِ الْأَسْقَامِ**»[(١)].

والأحاديث: في هذا المعنى كثيرة جدًا ولله الحمد والمنة.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول لنا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٥٤)، والإمام النسائي في سننه (٥٤٩٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

إذًا: يا أخي إذا ضاقت عليك الأمور، وضعفت عندك السعادة؛ فعليك بالدعاء، وبالإلحاح على الله عَزَّوَجَلَّ، وبالتضرع بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ؛ حتى يكشف الله عَزَّوَجَلَّ عنك ضرك، ويرفع عنك مرضك، وهمك، وغمك، ويكشف كربك، وبلاءك.

وحتى يعطيك الله عَزَّوَجَلَّ السعادة، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو المعطي، وهو المانع، وهو على كل شيء قدير.

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

كأن تقول: اللهم أسعدني بطاعتك، كما أسعدت عبادك الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وكما أسعدت عبادك الصالحين.

ولك أن تقول: اللهم أسعدني سعادة دائمة في الدنيا والآخرة.

والأفضل: أن تدعو بما جاء في القرآن الكريم من الأدعية.

وبما دعا به النبي ﷺ كما سبق معنا في الأحاديث السابقة، وبغيرها مما لم يذكر هنا مما ثبت عن النبي ﷺ.

فأدعية النبي ﷺ هي من أفضل الأدعية؛ لأن النبي ﷺ أعطي جوامع الكلم.

كأن تقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

فقد كان النبي ﷺ: يكثر من هذا الدعاء، بل كان هو أكثر دعاء يدعو به النبي ﷺ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٣٨٩):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**».

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٩٠).

ولفظ الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه:**

عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «**اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ".

(في الدنيا حسنة) نعمة من عافية ومال وزوجة وذرية صالحة.

(في الآخرة حسنة) مغفرة ورضوانا وجنة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفتح** (١١/ ١٩١-١٩٢):

وأخرج بن أَبِي حَاتِمٍ: مِنْ طَرِيقِ أَبِي نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ أَبُو طَالُوتَ كُنْتُ عِنْدَ أَنَسٍ فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: "إِنَّ إِخْوَانَكَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَدْعُوَ لَهُمْ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ آتِنَا

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ وَفِيهَا: "**إِذَا آتَاكُمُ اللهُ ذَلِكَ، فَقَدْ آتَاكُمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ**".

قَالَ عِيَاضٌ: إِنَّمَا كَانَ يُكْثِرُ الدُّعَاءُ بِهَذِهِ الْآيَةِ لِجَمْعِهَا مَعَانِيَ الدُّعَاءِ كُلِّهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

قَالَ: والحسنة عِنْدهم هَا هُنَا النِّعْمَةُ فَسَأَلَ نَعِيمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْوِقَايَةَ مِنَ الْعَذَابِ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ وَدَوَامِهِ.

قُلْتُ: قَدِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنَةِ.

فَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: هِيَ الْعلم وَالْعِبَادَة فِي الدُّنْيَا أخرجه بن أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ صَحِيح.

وَعَنْهُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: الرِّزْقُ الطَّيِّبُ وَالْعِلْمُ النَّافِعُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ.

وَتَفْسِيرِ الْحَسَنَةِ فِي الْآخِرَة بِالْجَنَّةِ نَقله بن أَبِي حَاتِمٍ أَيْضًا عَنِ السُّدِّيِّ وَمُجَاهِدٍ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ.

وَعَنِ بن الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَعْمَلُونَ فِي دُنْيَاهُمْ لِدُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: هِيَ الْعَافِيَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ مِنَ الْحَسَنَاتِ.

وَنَحْوُهُ: عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ.

وَأخرج بن الْمُنْذِرِ: مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الرِّزْقُ الطَّيِّبُ، وَالْعِلْمُ وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ.

وَمِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الْمُنَى.

وَمِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ قَالَ: الْمَالُ.

وَنَقَلَ الثَّعْلَبِيُّ عَنِ السُّدِّيِّ وَمُقَاتِلٍ: حَسَنَةُ الدُّنْيَا الرِّزْقُ الْحَلَالُ الْوَاسِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَحَسَنَةُ الْآخِرَةِ الْمَغْفِرَةُ وَالثَّوَابُ.

وَعَنْ عَطِيَّةَ: حَسَنَةُ الدُّنْيَا: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِهِ.

وَحَسَنَةُ الْآخِرَةِ: تَيْسِيرُ الْحِسَابِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ.

وَبِسَنَدِهِ عَنْ عَوْفٍ قَالَ: مَنْ آتَاهُ اللهُ الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ وَالْأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْوَلَدَ فَقَدْ آتَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

وَنَقَلَ الثَّعْلَبِيُّ عَنْ سَلَفِ الصُّوفِيَّةِ أَقْوَالًا أُخْرَى مُتَغَايِرَةَ اللَّفْظِ مُتَوَافِقَةَ الْمَعْنَى.

حَاصِلُهَا: **السَّلَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.**

وَاقْتَصَرَ الْكَشَّافُ عَلَى مَا نَقَلَهُ الثَّعْلَبِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهَا فِي الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْحَوْرَاءُ، وَعَذَابُ النَّارِ الْمَرْأَةُ السُّوءُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ كَثِيرٍ: الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا: تَشْمَلُ كُلَّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيٍّ مِنْ عَافِيَةٍ وَدَارٍ رَحْبَةٍ وَزَوْجَةٍ حَسَنَةٍ وَوَلَدٍ بَارٍّ وَرِزْقٍ وَاسِعٍ وَعِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ وَمَرْكَبٍ هَنِيءٍ وَثَنَاءٍ جَمِيلٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا شَمِلَتْهُ عِبَارَاتُهُمْ، فَإِنَّهَا كُلَّهَا مُنْدَرِجَةٌ فِي الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فِي الْآخِرَةِ: فَأَعْلَاهَا دُخُولُ الْجَنَّةِ وَتَوَابِعُهُ مِنَ الْأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي الْعَرَصَاتِ وَتَيْسِيرِ الْحِسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا الْوِقَايَةُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ: فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ.

قُلْتُ: أَوِ الْعَفْوِ مَحْضًا.

وَمُرَادُهُ بِقَوْلِهِ: "وَتَوَابِعُهُ"، مَا يَلْتَحِقُ بِهِ فِي الذِّكْرِ، لَا مَا يَتْبَعُهُ حَقِيقَةً. اهـ

فإذا استجاب الله عَزَّوَجَلَّ لك هذه الدعوة، فقد حصلت على السعادة الأبدية من أسها إلى رأسها، وذلك في الدنيا، وفي الآخرة.

ولهذا كان النبي ﷺ يلازم هذا الدعاء كثيرًا، وكان أكثر ما يدعو به النبي ﷺ هذا الدعاء كما سبق معنا في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في الصحيحين.

فإذا كنت: مهمومًا ومغمومًا من الفقر؛ فادْعُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ برفع ذلك عنك.

وإذا كنت: مهمومًا ومغمومًا من المرض، ادْعُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ برفع ذلك عنك، وبنزول الشفاء عليك، وعلى من تريد له الشفاء.

وإذا كنت: مهمومًا ومغمومًا من زوجة أتعبتك في حياتك وعيشتك، أو من ولد، ادع الله بصلاحها، وبصلاح الولد.

فأيّ شيء يهمك، أو يحزنك، أو يكربك؛ ادع الله عَزَّوَجَلَّ أن يكشفه عنك، وأن يرفعه عنك، وأن يذهبه عنك، وأن يخرجه من قلبك وبدنك، وأن يسعدك في دنياك، وفي أخراك.

وعليك أن تدعو الله بجلب المسعدات، والمسرات، والمفرحات، لك ولمن تريد له ذلك.

وعليك أن تدعو الله بدفع المضرات، والمحزنات، والمكربات، وكل الشرور، عنك، وعمن تريد له ذلك.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ: لا يعجزه شيء، وهو القادر على كل شيء.

باب الدعاء باب مستمر لا ينقطع بين العبد وربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فباب الدعاء: هو باب عظيم من أسباب تحصيل السعادة للعبد في الدنيا، وفي الآخرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فكل: الأسباب قد تنقطع على العبد؛ إلا الدعاء، فهو سبب مستمر بين العبد وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيستطيع العبد: أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ساجدًا، أو راكعًا، أو قائمًا، أو قاعدًا، أو نائمًا، أو مسافرًا، أو مقيمًا، وعلى أي حال يكون فيه.

يستطيع العبد: أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ في حال غناه، وفي حال فقره، وفي حال حزنه، وفي حال فرحه، وفي حال مرضه، وفي حال صحته، وفي جميع أحواله.

فربما يستجيب الله عَزَّوَجَلَّ لك الدعاء، فتكون من المفلحين، ومن السعداء، ومن الفائزين.

ولذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا الله عَزَّوَجَلَّ أن يشرح له صدره، حين أن أمره الله عَزَّوَجَلَّ بالذهاب إلى فرعون عليه لعنة الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [طه: ٢٤-٣٧].

فدعا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يشرح له صدره، وييسر له أمره، واستجاب الله عَزَّوَجَلَّ دعاءه.

وطلب شرح الصدر: حتى يحصل على السعادة، ويحصل على السكينة، ويحصل على الطمأنينة، ويحصل على الشجاعة، ويحصل على القوة، ويحصل على الأسلوب في الإقناع، ولذلك استجاب الله عَزَّوَجَلَّ له هذا الدعاء العظيم.

ولذلك لما ذهب موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون ومن معه من قومه، لم يبالِ بظلم فرعون، ولا بغطرسته، ولا بجبروته، ولا بقوته، ولا بملكه؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد شرح صدره، ويسر أمره، وجعل له وزيرًا من أهله، وهو هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًا معه.

فأنت أطلب السعادة من الله عَزَّوَجَلَّ، لأنه هو الذي يعطيها، ويسديها؛ لمن شاء من خلقه.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معطيها، ومالكها، ومسخرها لمن شاء من خلقه.

ولا تذهب إلى المعاصي، وإلى المنكرات، لطلب السعادة.

ولا تذهب إلى المخالفات لشرع الله عَزَّوَجَلَّ لطلب السعادة.

لأن المعاصي، والمنكرات، والمحرمات، والمخالفات لدين الله عَزَّوَجَلَّ، من أسباب الشقاء، ومن أسباب التعاسة في الدنيا، وفي الآخرة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ

كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

٦) سماع الوعظ والتذكير والمحاضرات من أسباب السعادة

ومن أسباب السعادة أيضًا: سماع الوعظ، والتذكير، والمحاضرات، والخطب، والدروس العلمية، وما إلى ذلك.

فإذا سمعت أحد العلماء، أو أحد طلاب العلم، أو أحدًا من المسلمين الصالحين: "ينصحك، أو يوجهك، أو يذكرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو يأمرك بما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليك، أو ينهاك عما نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه"؛ فاستمع لهذه الذكرى لعل الله عَزَّوَجَلَّ ينفعك بها.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

فالمؤمن هو الذي ينتفع بهذه الذكرى، وبهذه الموعظة، وبهذه النصيحة، وبهذه الأوامر الشرعية، وبهذه النواهي الشرعية، وبغير ذلك مما يحتاج إليه المسلم في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ٩-١٥].

إذًا السعادة ينالها: من سمع التذكير، واستفاد منه، وعمل به.

ينال السعادة: من سمع الحث على طاعة الرب الكبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى طاعة البشير النذير ﷺ، ثم استقام على هذا التذكير والوعظ، وعمل به.

لأن الإنسان قد يكون جاهلًا، وقد يكون معرضًا، وقد يكون غافلًا؛ فإذا ما سمع هذا العلم، والتذكير، والوعظ، وأراد الله نفعه انتبه من غفلته، وتعلم ليرفع جهله، ورجع من إعراضه عن الحق إلى اتباع الحق والعمل به، وأقبل على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وسارع إليها، وسابق إليها.

وهنا ستقبل عليه السعادة، وستملئ قلبه، ونفسه، وروحه، وصدره بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ما دام مقبلاً على العمل بهذا الدين، وعلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ رب العالمين، وعلى اتباع سنة النبي الكريم ﷺ.

فكم من إنسان: كان على إعراض كبير؛ فلما سمع هذه الآيات من الكتاب العزيز، واستجاب لها، وتعلمها، وعمل بها، فإن حاله سيتغير إلى أحسن الأحوال، وسيشعر بسعادة عظيمة لا يعلم بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وسيسعد، وسيرتاح، وسيطمئن؛ على قدر تمسكه بهذا الدين، وعلى قدر اتباعه لسنة النبي ﷺ، **فقد يسعد** بسماع آية واحدة من القرآن الكريم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

فقد سمع: هذه الآية أحد السلف الصالح رضوان الله عليهم واستجاب لها، وبعد ذلك أصبح من عباد المسلمين في زمنه، وأصبح من سعداء المسلمين، وهذا بسبب الاستجابة للتذكير؛ لأن الإعراض سبب لضنك القلوب، وضيق الصدور.

٧) الإقبال على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم أسباب السعادة

ومن أعظم أسباب السعادة أيضًا: الإقبال على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

فالإنسان: يقسو قلبه بسبب غفلته، وبسبب تسلط الشيطان، وبسبب الإعراض عن القرآن الكريم، وبسبب البعد عن طاعة الرحمن.

فإذا: أقبل على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، حصل له الخير العظيم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فبذكر الله عَزَّوَجَلَّ: تطمئن قلوب الصالحين.

وبذكر الله عَزَّوَجَلَّ: ترتاح القلوب.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٩/ ٣١٥):

﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: **أَيْ**: تَسْكُنُ وَتَسْتَأْنِسُ بِتَوْحِيدِ اللهِ فَتَطْمَئِنُّ.

قَالَ: **أَيْ**: وَهُمْ تَطْمَئِنُّ قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم، قاله قَتَادَةُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا: بِالْقُرْآنِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: بِأَمْرِهِ.

وقال مُقَاتِلٌ: بِوَعْدِهِ.

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: بِالْحَلِفِ بِاسْمِهِ، أَوْ تَطْمَئِنُّ بِذِكْرِ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ، كَمَا تَوْجَلُ بِذِكْرِ عَدْلِهِ وَانْتِقَامِهِ وَقَضَائِهِ.

وَقِيلَ:" **بِذِكْرِ اللهِ**". **أَيْ**: يَذْكُرُونَ اللهَ وَيَتَأَمَّلُونَ آيَاتِهِ فَيَعْرِفُونَ كَمَالَ قُدْرَتِهِ عَنْ بَصِيرَةٍ.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: **أَيْ**: قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَذَا فِي الْحَلِفِ، فَإِذَا حَلَفَ خَصْمُهُ بِاللهِ سَكَنَ قَلْبُهُ.

وَقِيلَ:" بِذِكْرِ اللهِ" أَيْ بِطَاعَةِ اللهِ.

وَقِيلَ: بِثَوَابِ اللهِ.

وَقِيلَ: بِوَعْدِ اللهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ. اهـ

فدنيانا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ تطيب؛ ولذلك اذكر الله عَزَّوَجَلَّ ولازم ذلك.

إذا شعرت بضيق صدر فاستغفر الله عَزَّوَجَلَّ، واذكر الله عَزَّوَجَلَّ بأي نوع من أنواع الذكر؛ وبإذن الله عَزَّوَجَلَّ يزول عنك الضيق، والهم، والغم، والكرب، والشدة، والقسوة، وغير ذلك.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيره** (٦/ ٢٨٠-٢٨٢):

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: آمِرًا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قِرَاءَتُهُ وَإِبْلَاغُهُ لِلنَّاسِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾.

يَعْنِي: **أَنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ**: عَلَى تَرْكِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ.

أَيْ: إِنَّ مُوَاظَبَتَهَا تَحْمِلُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾ قَالَ: **"فَمَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَمْ يَزْدَدْ بِصَلَاتِهِ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا"**.

فَهَذَا: مَوْقُوفٌ.

. **قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ**: وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْبَرِيدِ، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَاكِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ الصَّلَاةَ، وَطَاعَةُ الصَّلَاةِ أَنْ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"**.

قَالَ: **وَقَالَ سُفْيَانُ**: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هُودٍ: ٨٧] قَالَ: **فَقَالَ سُفْيَانُ**: **أَيْ**: وَاللهِ، تَأْمُرُهُ وَتَنْهَاهُ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَقَالَ أَبُو خَالِدٍ مَرَّةً: عَنْ عَبْدِ اللهِ-: **"لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ الصَّلَاةَ، وَطَاعَةُ الصَّلَاةِ تَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"**.

وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ، كَمَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ فُلَانًا يُطِيلُ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: **"إِنَّ الصَّلَاةَ لَا تَنْفَعُ إِلَّا مَنْ أَطَاعَهَا"**.

وَالْأَصَحُّ فِي هَذَا كُلِّهِ: الْمَوْقُوفَاتُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالْحَسَنِ وقَتَادَةَ، وَالْأَعْمَشِ وَغَيْرِهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَتَشْتَمِلُ الصَّلَاةُ أَيْضًا: عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْأَكْبَرُ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أَيْ: أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، **أَيْ**: يَعْلَمُ جَمِيعَ أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

قَالَ: "إِنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا ثَلَاثُ خِصَالٍ، فَكُلُّ صَلَاةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ فَلَيْسَتْ بِصَلَاةٍ: "**الْإِخْلَاصُ، وَالْخَشْيَةُ، وَذِكْرُ اللهِ**". فَالْإِخْلَاصُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْخَشْيَةُ تَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ".

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ الْأَنْصَارِيُّ: إِذَا كُنْتَ فِي صَلَاةٍ فَأَنْتَ فِي مَعْرُوفٍ، وَقَدْ حَجَزَتْكَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالَّذِي أَنْتَ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أَكْبَرُ.

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾. **يَعْنِي**: مَا دُمْتَ فِيهَا.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، يَقُولُ: "وَلَذِكْرُ اللهِ لِعِبَادِهِ أَكْبَرُ، إِذَا ذَكَرُوهُ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ".

وَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قَالَ: "**ذِكْرُ اللهِ عِنْدَ طَعَامِكَ وَعِنْدَ مَنَامِكَ**". قُلْتُ: فَإِنَّ صَاحِبًا لِي فِي الْمَنْزِلِ يَقُولُ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ: قَالَ: "**وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُ؟**" قُلْتُ: قَالَ: يَقُولُ اللهُ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٥٢]. "فَلَذِكْرُ اللهِ إِيَّانَا أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِنَا إِيَّاهُ. قَالَ: "**صَدَقَ**". اهـ

فمن شعر بالضيق فعليه أن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كل أحواله.

يذكر الله عَزَّوَجَلَّ عند نومه، وعند قيامه، وعند خروجه من البيت، وعند دخوله إلى البيت، وعند ذهابه إلى المسجد، وعند انتظاره للصلاة، وعند ذهابه إلى السوق، وفي كل أحواله.

وعليه أن يحافظ على أذكار الصباح والمساء، وعلى أذكار النوم، والاستيقاظ من النوم، وعلى ذكر دخول بيت الخلاء، وعلى ذكر الذهاب إلى المسجد، وسائر الأذكار الثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكل هذا من أسباب السعادة، لأن العبد إذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ تخلص من رق وتسلط الشيطان عليه، ومن وسوسة الشيطان.

وإذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ سلم من الشيطان، ومن خطواته، ومن تسلطه.

وربما دفعت عنه الآثام.

وربما دفعت عنه المؤذيات.

فالذكر قد يكون حرزاً للعبد من الشيطان، ومن ذوات السموم، ومن الهوام.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[1].

(بكلمات الله التامات) **قيل**: معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب.

وقيل: النافعة الشافية.

وقيل: المراد بالكلمات هنا القرآن.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ**»[2].

فهي: حرز من الذنوب.

وهي: حرز من الأعداء.

وهي: تقرب من الرحمن.

وهي: تكون سبباً في دنو الملائكة منك لتحفظك بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فيحصل لك بالأذكار الانشراح الكبير والكثير بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٩).

بيان بعض فوائد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه الوابل الصيب** (**ص٤١-٤٧**):

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة:

(**إحداها**): أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

(**الثانية**): أنه يرضي الرحمن عَزَّوَجَلَّ.

(**الثالثة**): أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(**الرابعة**): أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(**الخامسة**): أنه يقوى القلب والبدن.

(**السادسة**): أنه ينور الوجه والقلب.

(**السابعة**): أنه يجلب الرزق.

(**الثامنة**): أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(**التاسعة**): أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة.

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ: لكل شيء سببًا وجعل سبب المحبة دوام الذكر.

فمن أراد أن ينال محبة الله عَزَّوَجَلَّ: فليلهج بذكره فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

(**العاشرة**): أنه يورثه المراقبة؛ حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

(**الحادية عشرة**): أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

(**الثانية عشرة**): أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عَزَّوَجَلَّ يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

(**الثالثة عشرة**): أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

(**الرابعة عشرة**): أنه يورثه الهيبة لربه عَزَّوَجَلَّ وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

(**الخامسة عشرة**): أنه يورثه ذكر الله تعالى له.

كم قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾.

(**السادسة عشرة**): أنه يورث حياة القلب.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

(**السابعة عشرة**): أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

(**الثامنة عشرة**): أنه يورث جلاء القلب من صداه.

(**التاسعة عشرة**): أنه يحط الخطايا ويذهبها.

فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

(**العشرون**): أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإن الغافل بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ وحشة لا تزول إلا بالذكر.

(**الحادية والعشرون**): أن ما يذكر به العبد ربه عَزَّوَجَلَّ من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة.

(**الثامنة والعشرون**): أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

(**التاسعة والعشرون**): أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه.

(**الثلاثون**): أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

(**الحادية والثلاثون**): أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

(**الثانية والثلاثون**): أنه غراس الجنة.

(**الثالثة والثلاثون**): أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

(**الرابعة والثلاثون**): أن دوام ذكر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقيتها حتى أوصلها إلى الثالثة والسبعين فائدة.

ولذلك: لما كان السلف الصالح رضوان الله عليهم مع القرآن الكريم، كانوا لا يشبعون من تلاوته، ولا يشبعون من القيام به في صلاة الليل.

وهكذا الأذكار.

يذكرون: أن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يسبح لله عَزَّوَجَلَّ في اليوم أكثر من اثني عشر ألف تسبيحة.

والنبي ﷺ قد أمرنا أن نسبح في أذكار الصباح مائة مرة سبحان الله وبحمده، وفي المساء مائة مرة سبحان الله وبحمده.

ونقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"، مائة مرة في أذكار الصباح.

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ** "»[١].

(**عدل**) مثل.

(**رقاب**) جمع رقبة. **إي**: إنسان مملوك عبد، أو أمة.

والمراد: ثواب عتقهم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٩٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩١).

ولفظ الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ"**، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: **"سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"**».

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: **سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١).

(حطت خطاياه) محيت ذنوبه المتعلقة بحقوق الله تعالى.

(مثل زبد البحر) كناية: عن المبالغة في الكثرة.

والزبد من البحر وغيره: كالرغوة تعلو سطحه.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: **"سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ"**، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٢).

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «**أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ**»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «**سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ**»(١).

(الدثور) جمع دثر وهو المال الكثير.

(بالدرجات العلا) المراتب العليا في الجنة.

(النعيم) ما يتنعم به.

(المقيم) الدائم.

(فضل من أموال) أموال زائدة عن حاجتهم.

(أحدثكم بأمر إن أخذتم) في نسخة: (أحدثكم بما إن أخذتم به).

(ظهرانيه) من أنتم بينهم.

(منهن كلهن) من كل حملة منهن.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٥).

ولفظ الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ**» **قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:** «**تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**».

وَزَادَ غَيْرُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: عَنِ اللَّيْثِ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، قَالَ سُمَيٌّ: فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَهِمْتَ، إِنَّمَا قَالَ «**تُسَبِّحُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**» فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي صَالِحٍ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ". قَالَ ابْنُ عَجْلَانَ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ، فَحَدَّثَنِي بِمِثْلِهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ**

وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ »[(١)].

(وإن كانت مثل زبد البحر) **أي**: في الكثرة والعظمة مثل زبد البحر.

وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه وتموجه.

فكم يحصل الإنسان على أجور عظيمة من هذه الأذكار اليسيرة، وتغفر ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٧).

٨) التوبة من أعظم أسباب السعادة

يا إخوة! ما كبلتنا، وقسة قلوبنا، إلا ذنوبنا.

فلذلك كانت من أعظم أسباب السعادة: **التوبة إلى الله** عَزَّوَجَلَّ.

وأن نتخلص من هذه الذنوب.

فيا من أسرفت على نفسك بالمعاصي، والذنوب، والخطايا، والسيئات، وتريد السعادة؛ فعليك أن تبادر إلى التوبة من هذه الذنوب.

فالسعادة لن تجدها في المعاصي، وإنما ستجد السعادة الحقيقية في التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

والتوبة تهدم ما كان قبلها من الذنوب والمعاصي والخطايا والآثام.

ولكن إذا كانت بشروطها المعتبرة عند أهل العلم.

جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ،

إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي"(١).

❀ شروط قبول التوبة:

الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: الندم على فعل الذنوب والمعاصي.

الثالث: العزم على عدم العودة إليها.

الرابع: عدم التفكير في الرجوع إليها.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢١).

الخامس: أن تكون في زمن قبول التوبة، وهو قبل الغرغرة وخروج الروح من الجسد، وقبل طلوع الشمس من مغربها.

السادس: إرجاع الحقوق والمظالم إلى أهلها، والتحلل منهم.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: "بَابُ التَّوْبَةِ".

ثم قال: **قَالَ قَتَادَةُ**: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]: «الصَّادِقَةُ النَّاصِحَةُ».

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٣٠٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا **عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **حَدِيثَيْنِ**:

أَحَدُهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: **«إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»** فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ".

والحديث: **أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم** (٢٧٤٤).

ثم أخرج في صحيحه: **ثُمَّ قَالَ**: **«لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»**.

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٤).

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٣٠٩):

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثنا قَتادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وحَدَّثَنَا هُدْبَةُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثنا قَتادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ**».

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٧).

ففي الأحاديث فرح الله عَزَّوَجَلَّ بتوبة عبده، وهو فرح يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ﴾، وهذا الفرح لعظيم فضل التوبة وعظيم بركتها.

فإذا علمت: أن التوبة تهدم ما كان قبلها ينشرح صدرك، ويصلح حالك، ويصلح مآلك، وتبدل سيئاتك حسنات بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠].

وكما **يقول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٦/ ١٢٦-١٣٠):

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾.

أَيْ: جَزَاؤُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْقَبِيحَةِ مَا ذُكِرَ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ فِي الدُّنْيَا إِلَى اللهِ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ.

وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِهِ وَبَيْنَ آيَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فإن هذه وَإِنْ كَانَتْ مَدَنِيَّةً إِلَّا أَنَّهَا مُطْلَقَةٌ، فَتُحْمَلُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتُبْ، لِأَنَّ هَذِهِ مُقَيَّدَةٌ بِالتَّوْبَةِ.

ثُمَّ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٨،١١٦].

وَقَدْ ثَبَتَتِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِصِحَّةِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ، كَمَا ذُكِرَ مُقَرَّرًا مِنْ قِصَّةِ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ رَجُلٍ ثُمَّ تَابَ، وَقُبِلَ مِنْهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

❀ **فِي مَعْنَى قَوْلِهِ**: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ **قَوْلَانِ**:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ بُدِّلُوا مَكَانَ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ بِعَمَلِ الْحَسَنَاتِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ قَالَ: "هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، كَانُوا مِنْ قَبْلِ إِيمَانِهِمْ عَلَى السَّيِّئَاتِ، فَرَغِبَ اللهُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ فحوَّلهم إِلَى الْحَسَنَاتِ، فَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ".

وَرَوَى مُجَاهِدٌ: عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ:

بُـــــدِّلْنَ بَعْـــــدَ حَــــرِّهِ خَرِيفًـــــا وَبَعْـــدَ طُـــولِ الـــنَّفَسِ الوَجِيفَـــا

يَعْنِي: تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ إِلَى غَيْرِهَا.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هَذَا فِي الدُّنْيَا، يَكُونُ الرَّجُلُ عَلَى هَيْئَةٍ قَبِيحَةٍ، ثُمَّ يُبَدِّلُهُ اللهُ بِهَا خَيْرًا.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَبْدَلَهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عِبَادَةَ اللهِ، وَأَبْدَلَهُمْ، بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَأَبْدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ نِكَاحَ الْمُؤْمِنَاتِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَبْدَلَهُمُ اللهُ بِالْعَمَلِ السَّيِّئِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَبْدَلَهُمْ بِالشِّرْكِ إِخْلَاصًا، وَأَبْدَلَهُمْ بِالْفُجُورِ إِحْصَانًا وَبِالْكُفْرِ إِسْلَامًا.

وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةَ، وَجَمَاعَةٍ آخَرِينَ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ الْمَاضِيَةَ تَنْقَلِبُ بِنَفْسِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ حَسَنَاتٍ.

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَضَى نَدِمَ وَاسْتَرْجَعَ وَاسْتَغْفَرَ، فَيَنْقَلِبُ الذَّنْبُ طَاعَةً بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ لَكِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ وَيَنْقَلِبُ حَسَنَةً فِي صَحِيفَتِهِ، كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ، وَصَحَّتْ بِهِ الْآثَارُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

-وَهَذَا سِيَاقُ الْحَدِيثِ- قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا إِلَى الْجَنَّةِ: يُؤْتَى

بِرَجُلٍ فَيَقُولُ: نَحّوا كِبَارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُوهُ عَنْ صِغَارِهَا"، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: "عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا؟" فَيَقُولُ: نَعَمْ -لَا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا - فَيُقَالُ: "فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً". فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا". قَالَ: "فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ". وَانْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ قَالَ: "فِي الْآخِرَةِ".

وَقَالَ مَكْحُولٌ: يَغْفِرُهَا لَهُمْ فَيَجْعَلُهَا حَسَنَاتٍ.

رَوَاهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مِثْلَهُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عُمُومِ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ وَأَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ تَابَ عَلَيْهِ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ، جَلِيلٍ أَوْ حَقِيرٍ، كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ.

فَقَالَ: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

أَيْ: فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ١١٠].

وَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

أَيْ: لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ. اهـ

٩) الصبر من أسباب السعادة

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدة الصابرين (ص: ٤٤):

الصبر ينقسم إلى قسمين: قسم مذموم وقسم ممدوح:

فالمذموم: الصبر عن الله وإرادته ومحبته وسير القلب إليه فإن هذا الصبر يتضمن تعطيل كمال العبد بالكلية وتفويت ما خلق له وهذا كما أنه أقبح الصبر فهو أعظمه وأبلغه فإنه لا صبر أبلغ من صبر من يصبر عن محبوبه الذى لا حياة له بدونه البتة كما أنه لا زهد أبلغ من زهد الزاهد فيما أعد الله لأوليائه من كرامته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فالزهد في هذا أعظم أنواع الزهد كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد تعجب لزهده "ما رأيت أزهد منك! " فقال: "أنت أزهد منى أنا زهدت في الدنيا وهى لا بقاء لها ولا وفاء وأنت زهدت في الآخرة فمن أزهد منا" قال يحيى بن معاذ الرازى "صبر المحبين أعجب من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون! " وفي هذا قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يحمد

ووقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين فقال: الصبر في الله، قال، لا، فقال: الصبر لله، فقال: لا، قال: فالصبر مع الله، قال: لا، قال: فأيش هو؟ قال: الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تزهق.

وقيل: الصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء، وقد أجمع الناس على أن الصبر عن المحبوب غير محمود فكيف إذا كان كمال العبد وفلاحه في محبته ولم تزل الأحباب تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل:

والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر عنك فمذموم عواقبه

وقال آخر في الصبر عن محبوبه:

إذا لعب الرجال بكل شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين مع الشمال

وشكا آخر إلى محبوبه ما يقاسي من حبه فقال: لو كنت صادقا لما صبرت عني:

ولما شكوت الحب قالت كذبتني ... ترى الصب عن محبوبه كيف يصبر

فصل: وأما الصبر المحمود فنوعان:

صبر لله، وصبر بالله، قال الله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ وقال ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ وقد تنازع الناس أي الصبرين أكمل فقالت طائفة الصبر له أكمل فإن ما كان لله أكمل مما كان بالله فإن ما كان له فهو غاية وما كان به فهو وسيلة والغايات أشرف من الوسائل ولذلك وجب الوفاء بالنذر إذا كان تبرر أو تقربا إلى الله لأنه نذر له ولم يجب الوفاء به إذا خرج مخرج اليمين لأنه حلف به فما كان له سبحانه فهو متعلق بألوهيته وما كان به فهو متعلق بربوبيته وما تعلق بألوهيته أشرف مما تعلق بربوبيته ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجى من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده فإن عباد الأصنام كانوا مقرين

بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته.

وقالت طائفة: الصبر بالله أكمل بل لا يمكن الصبر له إلا بالصبر به كما قال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ فأمره بالصبر والمأمور به هو الذى يفعل لأجله ثم قال ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ فهذه جملة خبرية غير الجملة الطلبية التي تقدمتها أخبر فيها انه لا يمكنه الصبر الا به وذلك يتضمن أمرين الاستعانة به والمعية الخاصة التي تدل عليها باء المصاحبة كقوله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى وليس المراد بهذه الباء الاستعانة فإن هذا أمر مشترك بين المطيع والعاصي فإن مالا يكون بالله لا يكون بل هي باء المصاحبة والمعية التي صرح بمضمونها في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وهي المعية الحاصلة لعبده الذى تقرب اليه بالنوافل حتى صار محبوبا له فبه يسمع وبه يبصر وكذلك به يصبر فلا يتحرك ولا يسكن ولا يدرك إلا والله معه ومن كان كذلك أمكنه الصبر له وتحمل الأثقال لأجله؛ كما في الأثر الإلهي يعنى "وما يتحمل المتحملون من أجلى".

فدل قوله ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ على أنه من لم يكن الله معه لم يمكنه الصبر وكيف يصبر على الحكم الأمري امتثالًا وتنفيذا وتبليغا وعلى الحكم القدري احتمالا له واضطلاعًا به من لم يكن الله معه فلا يطمع في درجة الصبر المحمود عواقبه من لم يكن صبره بالله كما لا يطمع في درجة التقرب المحبوب من لم يكن سمعه وبصره وبطشه ومشيه بالله

وهذا هو المراد من قوله: **"كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها"** ليس المراد انى كنت نفس هذه

الاعضاء والقوى كما يظنه أعداء الله أهل الوحدة وان ذات العبد هي ذات الرب تعالى الله عن قول إخوان النصارى علوًا كبيرًا ولو كان كما يظنون لم يكن فرق بين هذا العبد وغيره ولا بين حالتي تقربه إلى ربه بالنوافل وتمقته اليه بالمعاصي بل لم يكن هناك متقرب ومتقرب إليه ولا عبد ولا معبود ولا محب ولا محبوب فالحديث كله مكذب لدعواهم الباطلة من نحو ثلاثين وجها تعرف بالتأمل الظاهر.

وقد فسر المراد من قوله: " **كنت سمعه وبصره ويده ورجله**" بقوله: "**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى** " فعبر عن هذه المصاحبة التي حصلت بالتقرب اليه بمحابه بألطف عبارة وأحسنها تدل على تأكد المصاحبة ولزومها حتى صار له بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله

ونظير هذا قوله: "**الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه**".

ومثل هذا سائغ في الاستعمال أن ينزل إلى منزلة ما يصاحبه ويقارنه حتى يقول المحب للمحبوب أنت روحي وسمعي وبصري وفي ذلك معنيان:

أحدهما: أنه صار منه بمنزلة روحه وقلبه وسمعه وبصره.

والثاني: أن محبته وذكره لما استولي على قلبه وروحه صار معه وجليسه كما في الحديث "**يقول الله تعالى: أنا جليس من ذكرني**".

وفي الحديث الآخر: "أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه".

وفي الحديث: **"فإذا أحببت عبدي كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا"** ولا يعبر عن هذا المعنى بأتم من هذه العبارة ولا أحسن ولا ألطف منها وإيضاح هذه العبارة مما يزيدها جفاء وخفاء.

والمقصود: انما هو ذكر الصبر بالله وأن العبد بحسب نصيبه من معية الله له يكون صبره وإذا كان الله معه أمكن أن يأتي من الصبر بما لا يأتي به غيره قال أبو على فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

وها هنا سر بديع وهو أن من تعلق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلته تلك الصفة عليه وأوصلته اليه والرب تعالى هو الصبور بل لا أحد أصبر على أذى سمعه منه، وقد قيل أن الله سبحانه أوحى إلى داود **"تخلق بأخلاق فإن من أخلاقي أنى أنا الصبور"** والرب تعالى يحب أسماءه وصفاته ويحب مقتضى صفاته وظهور آثارها في العبد فإنه جميل يحب الجمال عفو يحب أهل العفو كريم يحب أهل الكرم عليم يحب أهل العلم وتر يحب أهل الوتر قوي والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف صبور يحب الصابرين شكور يحب الشاكرين، واذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف فهذه المعية الخاصة عبر عنها بقوله **"كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا"**.

فصل: وزاد بعضهم قسما ثالثا من أقسام الصبر وهو الصبر: (مع الله) وجعلوه أعلى أنواع الصبر.

وقالوا: هو الوفاء ولو سئل هذا عن حقيقة الصبر مع الله لما أمكنه أن يفسره بغير الأنواع الثلاثة التي ذكرت وهي الصبر على أقضيته، والصبر على أوامره، والصبر عن نواهيه، فإن زعم أن الصبر مع الله هو الثبات معه على أحكامه يدور معها حيث دارت فيكون دائما مع الله لا مع نفسه فهو مع الله بالمحبة والموافقة.

فهذا المعنى حق ولكن مداره على الصبر على الأنواع المتقدمة، وإن زعم أن الصبر مع الله هو الجامع لأنواع الصبر فهذا حق ولكن جعله قسما رابعًا من أقسام الصبر غير مستقيم.

واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو: ثبات القلب بالاستقامة معه وهو أن لا يروغ عنه روغان الثعالب ها هنا وها هنا فحقيقة هذا هو الاستقامة اليه وعكوف القلب عليه وزاد بعضهم قسما آخر من اقسامه وسماه الصبر فيه وهذا أيضا غير خارج عن أقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر فيه معنى غير الصبر له وهذا كما يقال فعلت هذا في الله وله كما قال خبيب:

وذلك في ذات الاله وان يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ وقال ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ وفي حديث جابر: "ان الله تعالى لما أحيا أباه وقال له تمن قال يا رب أن ترجعني إلى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية"

وقال " **ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد**" وهذا يفهم منه معنيان:

أحدهما: أن ذلك في مرضاته وطاعته وسبيله/ وهذا فيما يفعله الإنسان باختياره كما في الحديث "**تعلمت فيك العلم**".

والثاني: أنه بسببه وبجهته حصل ذلك وهذا فيما يصيبه بغير اختياره وغالب ما يأتى قولهم "ذلك في الله" في هذا المعنى فتأمل قوله "**ولقد أوذيت في الله**" وقول خبيب وذلك "**في ذات الإله**" وقول عبد الله بن حزام "**حتى أقتل فيك**" وكذلك قوله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ فإنه يترتب عليه الأذى فيه سبحانه.

وليست في ها هنا للظرفية ولا لمجرد السببية وان كانت السببية هي أصلها فانظر إلى قوله "في نفس المؤمن مائة من الإبل" وقوله "دخلت امرأة النار في هرة" كيف تجد فيه معنى زائدا على السببية وليست في للوعاء في جميع معانيها فقولك "**فعلت هذا في مرضاتك**" فيه معنى زيد على قولك "**فعلته لمرضاتك**" وأنت اذا قلت "**أوذيت في الله**" لا يقوم مقام هذا اللفظ كقولك "**أوذيت لله**" ولا "**بسبب الله**" وإذا فهم المعنى طوى حكم العبارة والمقصود: أن الصبر في الله إن أريد به هذا المعنى فهو حق وإن أريد به معنى خارج عن الصبر على أقضيته وعلى أوامره وعن نواهيه وله وبه لم يحصل فالصابر في الله كالمجاهد في الله والجهاد فيه لا يخرج عن معنى الجهاد به وله والله الموفق. اهـ

١٠) الشكر من أسباب السعادة

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.
وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ يخبر عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وأمسُوا توابين. وفي صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ كان يقول: اللهم، لك الحمد غير مَكْفِيّ ولا مودَع، ولا مستغنى عنه ربَّنا.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه، إلا بنعمة تُوجِب على مُؤدى ماضي نعَمه بأدائها، نعمة حادثة توجب عليه شكره بها. اهـ

وقال القائل في ذلك:

لـو كـل جَارِحَـة منـي لهَـا لُغَـةٌ ... تُثْني عَلَيكَ بما أولَيتَ مِـنْ حَسَنِ
لَكَـانَ مـا زَادَ شُكري إذ شَكَرت بـه ... إليـكَ أبلـغَ في الإحسَان والمـننِ

انتهى بتصرف.

والشكر هو سبب زيادة النعم، وكفران النعم سبب زوالها، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم:٧].

١١) الإخلاص من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: **الإخلاص**، وذلك أن المخلص لا يطلب مدحًا، ولا يخشى ذمًا، تساوى عنده الأمران، فتجده سعيداً منشرحًا بأعماله، همه رضى الله عَزَّوَجَلَّ، فتصلح له دنياه وأخراه.

ومن ذلك: ما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ "، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،

فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا "، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ".

وكم حصل للسلف الكرام من محن، كان فيها المنح بسبب إخلاصهم في عملهم لله عَزَّوَجَلَّ، ويؤجر أحدهم على نيته وإخلاصه، وإن لم يعمل ويرفع الدرجات بإخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إغاثة اللهفان" (١/ ٨):

قال بعض السلف: ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان: لم وكيف أي لم فعلت وكيف فعلت فالأول سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه: هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم أو استجلاب محبوب عاجل أو دفع مكروه عاجل أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية وطلب التودد والتقرب إلى الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وابتغاء الوسيلة إليه

ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك أم فعلته لحظك وهواك

والثاني: سؤال عن متابعة الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في ذلك التعبد أي هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولي أم كان عملا لم أشرعه ولم أرضه

فالأول سؤال عن الإخلاص والثاني عن المتابعة فإن الله سبحانه لا يقبل عملا إلا بهما.

فطريق التخلص من السؤال الأول: بتجريد الإخلاص وطريق التخلص من السؤال الثاني: بتحقيق المتابعة وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص وهوى يعارض الاتباع فهذا حقيقة سلامة القلب الذي ضمنت له النجاة والسعادة. اهـ

وقال رَحِمَهُٱللَّهُ في "الفوائد" (ص: ١٩٩): الطّلب لقاح الْإِيمَان فَإِذا اجْتمع الْإِيمَان والطلب أثمر الْعَمَل الصَّالح وَحسن الظَّن بِاللَّه لقاح الافتقار والاضطرار إِلَيْهِ فَإِذا اجْتمعَا أثمر إِجَابَة الدُّعَاء والخشية لقاح الْمحبَّة فَإِذا اجْتمعَا أثمر امْتِثَال الْأَوَامِر وَاجْتنَاب النواهي وَالصَّبْر لقاح الْيَقِين فَإِذا اجْتمعَا أورثا الْإِمَامَة فِي الدّين قَالَ تَعَالَى وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ وَصِحَّة الِاقْتِدَاء بالرسول لقاح الْإِخْلَاص فَإِذا اجْتمعَا أثمر قبُول الْعَمَل والاعتداد بِهِ وَالْعَمَل لقاح الْعلم فَإِذا اجْتمعَا كَانَ الْفَلاح والسعادة وَإِن انْفَرد أَحدهمَا عَن الآخر لم يفد شَيْئا.

والحلم لقاح الْعلم فَإِذا اجْتمعَا حصلت سيادة الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَحصل الِانْتِفَاع بِعلم الْعَالم وَإِن انْفَرد أَحدهمَا عَن صَاحبه فَاتَ النَّفْع وَالِانْتِفَاع

والعزيمة لقاح البصيرة فَإِذا اجْتمعَا نَالَ صَاحبهمَا خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَبَلغت بِهِ همّته من العلياء كل مَكَان فتخلف الكمالات إِمَّا من عدم البصيرة وَإِمَّا من عدم الْعَزِيمَة.

وَحسن الْقَصْد لقاح لِصِحَّة الذِّهْن فَإِذا فقدا فقدا الْخَيْر كُله وَإِذا اجْتمعَا أثمرا أَنْوَاع الْخيرَات وَصِحَّة الرَّأْي لقاح الشجَاعَة فَإِذا اجْتمعَا كَانَ النَّصْر وَالظفر وَإِن قعدا فالخذلان والخيبة وَإِن وجد الرَّأْي بِلَا شجاعة فالجبن وَالْعجز وَإِن حصلت الشجَاعَة بِلَا رَأْي فالتهوّر والعطب وَالصَّبْر لقاح البصيرة فَإِذا اجْتمعَا فالخير فِي اجْتِمَاعهمَا.

قَالَ الْحسن: إِذا شِئْت أَن ترى بَصِير إِلَّا صَبر لَهُ رَأَيْته وَإِذا شِئْت أَن ترى صَابِرًا إِلَّا بَصِيرَة لَهُ رَأَيْته فَإِذا رَأَيْت صَابِرًا بَصيرًا فَذَاك والنصيحة لقاح الْعقل فَكلما قويت النَّصِيحَة قوي الْعقل واستنار والتذكّر والتفكّر كل مِنْهُمَا لقاح الآخر إِذا اجْتمعَا أنتجا الزّهْد فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَة فِي الْآخِرَة وَالتَّقوى لقاح التَّوَكُّل فَإِذا اجْتمعَا استقام الْقلب ولقاح أَخذ أهبة الاستعداد للقاء قصر الأمل فَإِذا اجْتمعَا فالخير كُله فِي اجْتِمَاعهمَا وَالشَّر فِي فرقتهما ولقاح الهمّة الْعَالِيَة النيّة الصَّحِيحَة فَإِذا اجْتمعَا بلغ العَبْد غَايَة المُرَاد. اهـ

١٢) قراءة القرآن من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (قراءة القرآن) لا سيما مع تدبره وتعقله وتفهمه، فهو كلام الله ووحيه، وتنزيله تزال به ما في القلوب من هموم وغموم وأحزان.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾. [سُورَةُ الإِسرَاءِ: ٨٢]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾. [سُورَةُ الرَّعدِ: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فحقًا إن هذا القرآن هو المنهج العظيم، وهو منهج السعادة، ومنهج الحياة الطيبة في هذه الدار، وهو أيضًا المنهج الذي يوصل من استقام عليه وثبت عليه إلى الحياة الأبدية السعيدة في الدار الآخرة.

❀ **وأسباب كون قراءة القرآن مصدراً للسعادة:**

شفاء لما في الصدور: القرآن يزيل أمراض القلوب من حسد وحقد، ويذهب الحسرات، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

طمأنينة القلب: قراءته تبعث الراحة والهدوء، وتعمل على جلاء الهموم وانقشاع الغموم عن النفس.

نور وهداية: يضيء القرآن قلب المؤمن، ويرشده لطريق الصلاح والتقوى، مما يثمر حياة طيبة وسعادة.

تجارة لن تبور: تلاوة كتاب الله وتدبره من أفضل الأعمال التي تجلب الرضا وتضمن السعادة الأخروية.

العمل به منهج حياة: تدبر آيات القرآن والعمل بمقتضاها يخلص الإنسان من حيرة الحياة ويمنحه التوازن، فهو منهاج السعادة في الدارين.

فينبغي للمسلم: أن يحرص على قرأته وتدبره فهو الكتاب المبارك في قراءته والعمل به والدعوة إليه وكل ما يتعلق به، وإنما هذه إشارات، والله المستعان.

١٣) عدم التطلع لما في أيدي الناس من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: **(عدم التطلع لما في أيدي الناس، والرضا بما أعطاك الله** عَزَّوَجَلَّ)، فإن أكثر الهم والغم بمراقبة الناس، حتى قيل: "من راقب الناس مات غمًا أو همًا".

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: **(فلينظر أسفل منه فهو أجدر أن لا يزدري نعمة الله)** متفق عليه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: أي: لا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها - بقطع النظر عن الآخرة - القوم الظالمون، ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملا كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا

عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ العاجل من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة والآجل من النعيم المقيم والعيش السليم في جوار الرب الرحيم ﴿خَيْرٌ﴾ مما متعنا به أزواجا في ذاته وصفاته ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ لكونه لا ينقطع أكلها دائم وظلها كما قال تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾

وفي هذه الآية: إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا وإقبالا عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا. اهـ

١٤) الرضا بما يسر الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة: (الرضا بما يسر الله عَزَّوَجَلَّ)**، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾.

فالرضا يجعل القلب سعيداً عامراً مطمئناً بعيد عن الاكتئاب بشكر الله على القليل والكثير، وقد بين رسول الله ﷺ أن الرزق مقسوم حيث قال رسول الله ﷺ: **(إنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)**.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ: **(أَسْأَلُكَ اللهُمَّ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَمَاتِ)**.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران:١٥٤].

فتجد المنافق والمعرض في ضيقة صدر، والله المستعان.

١٥) الرغبة في الآخرة من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (الرغبة في الآخرة).

حيث يبقى المسلم من خير وشر، ونفع وضر، ولما كان السلف على هذا المبدئ كان أحدهم يفرح بالبلاء، كما نفرح بالرخاء، قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾

وفي الحديث: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» أخرجه الترمذي (٢٣٧٧).

وفي الحديث: «لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ».

فالرغبة في الآخرة من أسباب السعادة إذ لا يبالي ما فاته، ويرغب في حسن الثواب، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

١٦) الاحتساب من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (احتساب الأجر والثواب من الملك التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

فإن عمل خيراً رجا ثوابه، وإن حصل عليه ضرٌ رجا الأجر عليه، ولذلك هان عند السلف ما لاقوه مقابل ما أملوه.

فعن جابر قال، قَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «**فِي الْجَنَّةِ**»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. أخرجه مسلم (١٨٩٩).

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " **أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ** " فَأَبَى، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. فَفَعَلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي. قَالَ: " فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ** " قَالَهَا مِرَارًا.

قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ. أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا. أخرجه أحمد (١٢٤٨٢).

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَوْ قُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي

الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**» أخرجه مسلم (٦٦٣).

وقال شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله: الاحتساب يذهب الأتعاب.

١٧) ترتيب الوقت من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة: (ترتيب الوقت بين عمل الدنيا وعمل الآخرة).**

فمن أطاع الله عَزَّوَجَلَّ وحرص على رضاه لم تتعارض دنياه وأخراه، وإنما يقع التعارض ممن قل علمه وفهمه وخالف في عمله.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: – وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ – قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»، أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

١٨) قصر الأمل من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (قصر الأمل من الدنيا، والرغبة في الآخرة).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»، أخرجه البخاري (٦٤١٦).

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**"، أخرجه البخاري ومسلم.

فمن قصر أمله في الدنيا حسن عمله للآخرة فتلحقه السعادة، ومن طال أمله في الدنيا قل عمله للآخرة فتلحقه الشقاوة.

ولكن لا يحمله قصر الأمل على تضييع دنياه، فعن سعد بن أبي وقاص قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنِي مَا تَرى مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لَا**»، قَالَ: قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «**لَا، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي، قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يُنْفَعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ**»، قَالَ: «رَثَى لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَنْ تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ»، متفق عليه.

قال ابن الجوزي في "صيد الخاطر" (ص: ٢٠٦):

ومن الاغترار طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل، ما وقع إهمال أصلًا، وإنما تقدم المعاصي، وتؤخر التوبة، لطول الأمل، وتبادر الشهوات، وتنسى الإنابة، لطول الأمل.

وإن لم تستطع قصر الأمل، فاعمل عمل قصير الأمل: ولا تنس حتى تنظر فيما مضى من يومك، فإن رأيت زلة، فامحها بتوبة، أو خرقًا، فارقعه باستغفار.

وإذا أصبحت، فتأمل ما مضى في ليلك. وإياك والتسويف، فإنه أكبر جنود إبليس.

وخــذ لــك منــك علــى مهلــةٍ ... ومقبــل عيشــك لــم يــدبرِ
وخــف هجمــةً لا تقيــل العثَــار ... وتطــوي الــورود علــى المصــدرِ
ومثــل لنفســك أي الرعيــل ... يضــمك في حلْبــة المحشــر

ثم صور لنفسك قصر العمر، وكثرة الأشغال، وقوة الندم على التفريط عند الموت، وطول الحسرة على البدار بعد الفوات. وصور ثواب الكاملين وأنت ناقص، والمجتهدين وأنت متكاسل. اهـ

١٩) الأمل في الفرج من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (**الأمل في الفرج وتغير الحال**).

فإن العبد تمر به من المضايق ما يتغير معها حاله، ويتكدر معها باله، ولكنه مع أمل الفرج يعيش سعيداً منتظراً للسعادة العظمى بحصول المسرات ودفع المضرات.

وقد قال الله تعالى مخبرا عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف:٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف:١١٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ

قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»، متفق عليه.

وكما قيل:

أعلل النفس بالآمال أطلبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

٢٠- ٢١- ٢٢) ومن أسباب السعادة الحلم والتجاوز والأناة

❀ **ومن أسباب السعادة: (الحلم وعدم المسارعة بالغضب والانتقام، وكذلك التجاوز عن الغير، والتأني في الأمور حتى يجري الفكرة فيحصل له الخير العظيم)**، فإن عدم الحلم يؤدي إلى التجاوز والمعاجلة بالعقوبة، وربما ندم بعد ذلك ولات حين مندم.

وقد قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: "**إن فيك خصليتين يحبهما الله ورسول ﷺ الحلم والاناة**" أخرجه مسلم.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

قال المناوي في فيض القدير (١/ ٧٤): وقد اتفقت الملل والنحل على أن الحلم والسخاء يرفعان العبد وإن كان وضيعا وأنهما أصل الخصال الموصلة إلى السعادة العظمى وما سواهما فرع عنهما. اهـ

وقال ابن القيم في "طريق الهجرتين" (ص: ١٢٩): ولمحبته لأَسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإِحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأَناة والتثبت ولما كان سبحانه يحب أَسماءَه وصفاته كان أَحب الخلق إِليه من اتصف بالصفات التى يحبها، وأَبغضهم إِليه من اتصف بالصفات التى يكرهها. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين" (٨/ ٣٧): وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته وتحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنائها ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش كما قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب وهو حقيقة الشجاعة وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة. اهـ

٢٣) مجالسة الصالحين من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (مجالسة الصالحين).

لأن الصالح: يأتي منه الصلاح بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وأهل الخير: يأتي منهم الخير بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ**»، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، فَبَدَأَ بِإِحْدَاهُمَا، وَثَنَّى بِالأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قُلْنَا: يُوحَى إِلَيْهِ، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ آنِفًا، أَوَ خَيْرٌ هُوَ - ثَلَاثًا - إِنَّ الخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ، وَإِنَّهُ كُلَّمَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ، كُلَّمَا أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ رَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ، فَهُوَ كَالآكِلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٤٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٥٢).

(بركات الأرض) خيراتها.

(زهرة الدنيا) متاعها وما فيها من نعم.

(فبدأ بإحداهما) أي بدأ بذكر بركات الأرض.

(ثنى بالأخرى) ذكر زهرة الدنيا بعد البركات.

(أو يأتي الخير بالشر) أو تصير النعمة عقوبة.

(كأن على رؤوسهم الطير) صار كل واحد منهم كمن على رأسه طائر يريد أخذه فلا يتحرك كيلا يطير.

(الرحضاء) العرق الذي سال منه عند نزول الوحي عليه.

(أو خير هو) أي المال.

(إن الخير) الحقيقي.

(حبطا) هو انتفاخ في البطن من داء يصيب الآكل من كثرة الأكل.

(يلم) يقرب أن يقتل.

(آكلة الخضر) الدابة التي تأكل الخضر فقط.

(فثطلت) ألقت بعرها رقيقا.

أي: مائعا.

فالشاهد من الحديث: **"أن الخير لا يأتي إلا بالخير"**.

فإذا أردت السعادة: فجالس أصحاب السعادة، وأصحاب الخير، وأصحاب الدين، وأصحاب السنة، وأصحاب الصلاح، وأصحاب العلم الشرعي.

جالس العلماء، وطلاب العلم، والدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة وعلم.

فإنهم بفضل الله عَزَّوَجَلَّ سيذكرونك إذا غفلت ونسيت، ويعلمونك إذا جهلت، ويقومونك إذا أخطأت، ويعينونك على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى طاعة النبي ﷺ.

وكما قيل في المثل العربي: "من جالس جانس".

فإذا جالست الصالحين: نلت منهم الصلاح، والخير، والهدى، والتقى بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٧-٧٣].

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(١).

(يحذيك) يعطيك شيئًا من المسك يتحفك به.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٣٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٨).

وكما جاء في السنن:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» (١).

وجاء أيضًا في السنن:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» (٢).

فإذا جالست السيئين: نلت منهم السوء والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وربما دعا لك الجليس الصالح في ظهر الغيب، والملك يؤمن على دعوته، فتكون أحرى أن تستجاب.

يقول: اللهم وفقه، اللهم اهده، اللهم سدده، اللهم أعنه، اللهم اغفر له.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ** » (٣).

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٣٣)، والإمام الترمذي في سننه (٢٣٧٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٢٧٢)، وقال فيه: "هذا حديث حسن".

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٣٢)، والإمام الترمذي في سننه (٢٣٩٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن".

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٢، ٢٧٣٣).

وفي رواية في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: "آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ"**».

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**».

(**بظهر الغيب**) **معناه**: في غيبة المدعو له وفي سره؛ لأنه أبلغ في الإخلاص.

وربما دعا له، فقال: اللهم ارزقه، اللهم زوجه، اللهم يسر أمره، اللهم اقضي دينه، اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وغيرها من الدعوات المباركات من خيري الدنيا والآخرة.

لأن الصالحين يحرصون على الدعاء لإخوانهم المسلمين.

وربنا عَزَّوَجَلَّ: كريم يستجيب الدعاء، ولا سيما مع تأمين الملائكة عليهم السلام على هذا الدعاء في ظهر الغيب.

فالشاهد: أن المسلم قد يسعد بمجالسة الصالحين، وبدعائهم له.

وكذلك المسلم يشقى بمجالسة الطالحين، السيئين، الفاسقين، الظالمين، وغيرهم.

إذًا: **السعادة كل السعادة** في مجالسة الصالحين، والمتقين، والمهتدين، والطيبين، والمستقيمين على دين الله عَزَّوَجَلَّ، والمتبعين لسنة النبي ﷺ.

والشقاوة كل الشقاوة في مجالسة غيرهم من أهل البدع، والضلال، والمعاصي، والمخالفات الشرعية.

السعادة: في مجالسة من تأمن شره وترجو خيره.

والشقاوة: في مجالسة من لا تأمن شره، ولا ترجو خيره.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟**» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**»[(١)].

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٦٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح"، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤٢٣)، وقال فيه: "هذا حديث حسن".

٢٤) ملازمة المساجد من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (**ملازمة المساجد، وإجابة داعي الله** عَزَّوَجَلَّ **كلما سمعته**).

أي: إجابة المؤذن للصلاة المفروضة، والبقاء في المساجد، وملازمتها، وحبها، والمكث فيها، والتعلم فيها العلم الشرعي.

كل هذا من أعظم أسباب السعادة، وانشراح الصدور، وطمأنينة القلوب، وسكون النفوس والأرواح.

لأن المساجد هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة: ١٧-١٨].

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "**بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ**".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٥٩):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلاَةُ**».

(تصلي عليه) تستغفر له.

(تحبسه) تمنعه من الخروج من المسجد.

(ينقلب) يرجع.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٦٠):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» (١).

(سبعة) أشخاص وكل من يتصف بصفاتهم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٣١).

(ظله) ظل عرشه وكنف رحمته.

(معلق في المساجد) أي: شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٦١):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هَلِ اتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلاَةَ العِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَقَالَ: «**صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا**» قَالَ: "فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ خَاتَمِهِ".

ثم بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال: "بَابُ فَضْلِ مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَمَنْ رَاحَ".**

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٦٢):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**».

والحديث: أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٦٦٩).

(غدا) ذهب.

(راح) رجع.

(نزله) مكانه وضيافته.

فأهل السعادة: يسارعون إلى رضوان الله، وإلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى كل القربات التي تقربهم من الله عَزَّوَجَلَّ.

وأهل الشقاوة: يسارعون إلى معاصيهم، وإلى مخالفاتهم الشرعية لدين الله عَزَّوَجَلَّ.

فأهل الإعراض: يقبلون على إعراضهم عن هذا الدين.

وأنت أيها المسلم السعيد: مقبل إلى كل طاعة، وإلى كل قربة تقربك من الله عَزَّوَجَلَّ.

فكل ما سمعت فزعة، أو هيعة، أو سمعت النداء إلى الصلاة؛ فإذا بك من أول المسارعين، ومن المسابقين، ومن المبادرين، إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، **وإذا** بك من المقبلين على طاعة الله رب العالمين.

وأداء الصلاة في المسجد؛ يسعد بها المؤمنون، وتنشرح بها صدورهم، ويصلح بها حالهم، وتطمئن بها قلوبهم، وتهدأ بها نفوسهم، وتسكن بها أرواحهم.

كما جاء في السنن:

من حديث أَنَسٍ بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: "النِّسَاءُ وَالطِّيبُ"، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[(١)].

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٣٩٣٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ برقم (١٠٠).

والمساجد هي أحب البقاع والأماكن والبلاد إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**»[(١)].

ولذلك كان النبي ﷺ يعتكف في مسجده النبوي، وكانت أزواجه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُن يعتكفن في المسجد النبوي، وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يعتكفون فيها أيضًا.

وكان النبي ﷺ يعلم في المسجد، وينصح فيه، ويوجه فيه.

وكان أهل الصفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يمكثون في المسجد النبوي، وهم أضياف الإسلام كما قال ذلك أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لا بيت لهم، ولا زوجات، ولا أولاد.

كانت أعمارهم يقضون أكثرها في المساجد، ولذلك رفع الله عَزَّوَجَلَّ شأنهم، وأعلى قدرهم، وجعلهم سادة الدنيا بعد النبي ﷺ.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٧١).

٢٥٠) البعد عن الذنوب والمعاصي من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**البعد عن الذنوب والمعاصي**).

وعلى رأسها: **البعد عن الشركيات، والبدع، والمحدثات، والضلالات، والذنوب، والمعاصي، و السيئات، والخطايا**، وغير ذلك مما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ ويسخطه.

لأن المعاصي: شقاء في الدنيا، وفي الآخرة.

ولأن المعاصي: ضيق في الصدور، وظلمة في القلوب، وعذاب في الأرواح والنفوس.

ولأن المعاصي: فتنة يفتتن بها العباد.

فقد تجد من يبحث عن السعادة في الأغاني، أو في مشاهدة الأفلام الخليعة، أو في أكل القات، أو في شرب الدخان، أو في شرب الخمور والمسكرات، أو في الزنى، أو في حلق اللحية، أو في غير ذلك من المعاصي والذنوب والمحرمات.

أو في تقليد الكفار والمشركين: سواء كان التقليد في ملابسهم، أو في حلاقاتهم لشعورهم، أو في عاداتهم في الأكل، والشرب، وغير ذلك.

وبعد ذلك: تنقلب عليه المعاصي والذنوب تعاسة، وضيق، وهم، وغم، وكرب، وشدة، وحزن، ويزيد فيها بعدًا من الله عَزَّوَجَلَّ.

وربما يصاب بالمس، أو بالعين، أو بالحسد، أو بغير ذلك من أمراض الأرواح.

وهذا كله بسبب بعده عن الله عَزَّوَجَلَّ، وبسبب الإقبال على ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ.

فكلما بحث عن السعادة فيما حرم الله عَزَّوَجَلَّ عليه؛ فإذا بها تنقلب عليه تعاسة، وشقاوة.

فعلى كل: من يبحث عن السعادة عليه أن يلازم الطاعات، ويبتعد عن الذنوب والمعاصي.

فإنه إذا فعل ذلك سعد في الدنيا والآخرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ **[الواقعة:٨٨-٩٦]**.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾
[سورة الليل:٥-٢١].

فتأمل هذه الآيات تجد جلياً أسباب السعادة والشقاوة، والله المستعان.

٢٦) قيام الليل من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (قيام الليل).

وإن كان هذا يدخل في الصلاة، لكن ذكرناه للحث عليه والدعوة إليه.

ولكن المراد: قيام الثلث الأخير من الليل، وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا، وغير ذلك من الأوقات.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩].

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** »(١).

(ينزل ربنا) هذا النزول هو نزول حقيقي يليق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل.

(السماء الدنيا) الأولى، وسميت الدنيا؛ لقربها من الأرض.

الآن: كثير من الناس، ينامون الثلث الأخير من الليل، ويقومون أغلب الليل.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

بينما لو تأملنا حياة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لوجدنا أنهم كانوا ينامون بعد العشاء، ويقومون آخر الليل.

فالناس الآن في آخر الليل في سبات عميق، إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا في إعراض.

وأنت في غرفة مظلمة، أو حتى في غرفة منورة، لا أحد يراك غير الله عَزَّوَجَلَّ، فتارة تصلي، وتارة تستغفر، وتارة تقرأ قرآن، وربنا قد نزل نزولًا يليق بجلاله إلى السماء الدنيا، فيقول: من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له، كما سبق معنا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين.

وجاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث رِفَاعَةَ بْنِ عَرَابَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ - أَوْ قَالَ: بِعرفة - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ أَهْلِيهِمْ فَيُؤْذَنُ لَهُمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ خَيْرًا، وَقَالَ: " **أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ، لَا يَمُوتُ عَبْدٌ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ**".

ثُمَّ قَالَ: " **وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا أَنْتُمْ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذَرَارِيِّكُمْ مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ** ".

وَقَالَ: " **إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ،**

مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؛ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ "[١].

وفي وصف رسول الله ﷺ ما كان عليه من قيام الليل، فعن أبي هريرة عن النَّبِيَّ ﷺ يقُولُ: «إِنَّ أَخًا لَكُمْ لاَ يَقُولُ الرَّفَثَ» يَعْنِي بِذَاكَ ابْنَ رَوَاحَةَ، قَالَ:

وَفِينَـــا رَسُـــولُ اللهِ يَتْلُـــو كِتَابَـــهُ ... إِذَا انْشَـقَّ مَعْـرُوفٌ مِـنَ الفَجْـرِ سَـاطِعُ
أَرَانَـا الهُـدَى بَعْـدَ العَمَـى فَقُلُوبُنَـا ... بِــهِ مُوقِنَـاتٌ أَنَّ مَـا قَـالَ وَاقِـعُ
يَبِيــتُ يُجَــافِي جَنْبَــهُ عَــنْ فِرَاشِــهِ ... إِذَا اسْـتَثْقَلَتْ بِالكَـافِرِينَ المَضَـاجِعُ

والمتأمل في قصص القائمين يجد أنهم أحسن الناس حالا تنشرح صدورهم وتسعد قلوبهم، وإن قلت أموالهم وكثرة ابتلاءاتهم.

قال ابن القيم في "زاد المعاد" (٤/ ٢٢٧): وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب، كما في "الصحيحين" عن النبي -ﷺ- أنه قال: (**«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل، فارقد، فإن هو استيقظ، فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ**

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٦٢١٧)، وابن حبان في صحيحه برقم (٢١٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليقات الحسان برقم (٢١٢)، وقال: "صحيح"، - ((الصحيحة)) (٢٤٠٥).

انحلت عقدة ثانية، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»). اهـ

٢٧) تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (أكل الحلال).

ومن أسباب السعادة: تحري الحلال في المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، وفي كل شيء يخص الإنسان في حياته الدنيا.

لأن أكل الحرام؛ يؤدي إلى حصول الآثام، ويلحقه ضيق الصدر وسوء الحال في الحال والمآل.

جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعِيذُكَ بِاللهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ**»(١).

فالإنسان يسعى جاهدًا أن لا يدخل على نفسه، ولا على أبنائه، المال الحرام.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٦١٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

لأن المال الحرام له تأثير على البدن، يسبب له الأمراض، والأسقام وغير ذلك.

والمال الحرام له تأثير على القلب؛ يسبب له القسوة، والبعد عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

والمال الحرام له تأثير على الأولاد، وعلى تربيتهم.

إذا المال الحرام يسبب شقاوة للإنسان في دنياه؛ لأنه أخذ المال من غير حله.

ويسبب للإنسان شقاوة في أخراه؛ لأن لحمه نبت من سحت، وحرام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في "مجموع الفتاوى"** (١٥/ ٣٩٦): قَالَ شَاهُ الكرماني: مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ الْمَحَارِمِ وَعَمَّرَ بَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَعَوَّدَ نَفْسَهُ أَكْلَ الْحَلَالِ وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنْ الشَّهَوَاتِ: لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِرَاسَةٌ وَإِذَا صَلَحَ عِلْمُ الرَّجُلِ فَعَرَفَ الْحَقَّ وَعَمِلَهُ وَاتَّبَعَ الْحَقَّ: صَارَ زَكِيًّا تَقِيًّا مُسْتَوْجِبًا لِلْجَنَّةِ. اهـ

وقال ابن القيم في "مدارج السالكين" (٨/ ١٤٩): وأما الأبدان الزكية فهي التي زكت بطاعة الله ونبتت على أكل الحلال فمتى خلصت الأبدان من الحرام وأدناس البشرية التي ينهى عنها العقل والدين والمروءة وطهرت الأنفس من علائق الدنيا: زكت أرض القلب فقبلت بذر العلوم والمعارف فإن سقيت بعد ذلك بماء الرياضة الشرعية النبوية المحمدية وهي التي لا تخرج عن علم ولا تبعد عن واجب ولا تعطل سنة أنبتت من كل زوج كريم من علم وحكمة وفائدة وتعرف فاجتنى منها صاحبها ومن جالسه أنواع الطرف والفوائد والثمار المختلفة الألوان والأذواق. اهـ

٢٨) حب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ والصالحين من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (حب الصحابة المكرمين الأطهار رضوان الله عليهم).

لأننا ابتلينا في هذه الأيام ظهور الرافضة الأنجاس الأرجاس الذين يسبون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، ويكفرونهم، ويبدعونهم، ويتهمونهم بالعظائم.

فقد أشاعوا بين الناس بغض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، وعندهم الجرأة عليهم.

فتارة: يطعنون في عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وتارة: يطعنون في معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وتارة: يطعنون في عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وتارة: يطعنون في عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا ويتهمونها بما برأها الله عَزَّوَجَلَّ منه في القرآن الكريم.

وتارة: يطعنون في أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

المهم: شأنهم الطعن في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ الأطهار، الذين اختارهم الله عَزَّوَجَلَّ أنصارًا لنبيه ﷺ في تبليغ هذا الدين.

فهم: يطعنون فيهم، ويكفرونهم، في خطبهم، وفي محاضراتهم، وفي ندواتهم، وفي اجتماعاتهم، وفي دروسهم، وفي دوراتهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ مثنيـًا عليهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ

ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح:٢٩].

وقال: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح:١٨].

وقد توسعت في بيان فضلهم في غير ما كتاب، والله المستعان.

وقد تجد أيضاً من يطعن في علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبقية آل البيت، فيجب أن تنقى القلوب تجاه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فحبهم إيمان وبغضهم نفاق وإجرام.

ويدخل في ذلك: محبة غيرهم من الصالحين.

محبة أهل العلم: "من العلماء الراسخين، والمشايخ، وطلاب العلم، والدعاة إلى الخير، وجميع الصالحين المحبين للخير، ولنشر الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم".

فمحبتهم هي محبة لهذا الدين الحنيف؛ **لأنهم** حملة العلم، وورثة الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولأنهم المبلغون بعد النبي ﷺ، وهم المعلمون، وهم المذكرون، وهم الناصحون، وهم المحذرون من الباطل، وهم الحريصون على هداية الخلق.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فالغل: على المؤمنين من ضيق الصدر، وأعلى المؤمنين هم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

لذلك يستحب للمؤمن أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يجعل في قلبه غلًا على أحد من المؤمنين.

بل حال المؤمن: يترضى عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويترحم عن موتى المسلمين، ويدعو لهم، ويحبهم.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: **"بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"**.

ثم أخرج في صحيحه برقم (١٣):

فقال رَحِمَهُٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ حُسَيْنٍ المُعَلِّمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

والحديث: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٤٥).

(لا يؤمن أحدكم) **قال العلماء رحمهم الله**: معناه لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة.

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: "بَابُ حُبِّ الأَنْصَارِ".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٣٧٨٣):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

والحديث: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٧٥).

ثم أخرج في صحيحه برقم (٣٧٨٤):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**».

وأخرجه مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه برقم (٧٤): (آية المنافق بغض الأنصار.. الخ) الآية هي العلامة.

ومعنى هذه الأحاديث: أن من عرف مرتبة الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وما كان منهم في نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام.

وكذلك: محبتهم للنبي ﷺ، وحبه إياهم.

وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارا للإسلام.

وعرف من حق أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ابن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قربهم من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ لهم، وما كان منهم في نصرة الإسلام وسوابقهم فيه؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه.

لسروره بظهور الإسلام، والقيام بما يرضي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ.

ومن أبغضهم: كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**»(١).

وكلهم أنصار لدين الله، فيدخل في ذلك المهاجرون والأنصار ومن سار على سيرهم، والله الموفق.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٦).

٢٨) الكرم من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (الكرم).

سواء في ذلك كرم الصفات، أو كرم الانفاق، فإن الكريم يسعد من جهات من جهة أخلاقه الكريمة التي تنزه فيها عن أعمال أهل السفه والضياع، ومن جهة كرمه بماله فيفرج عن الناس الكرب فتفرج كربته وتقضى حاجته ويسر قلبه وينال الخير العظيم، فلا تجد كريمًا إلا سعيداً، ولا تجد بخيلاً إلا مهمومًا حزينًا محرومًا، والله المستعان.

وقد أحسن من قال:

مهلا نوار أقلّي اللّوم والعذلا ... ولا تقولي لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه ... مهلا سأعطي الأنام الأنس والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إنّ الجواد يرى في ماله سبلاً

والنبي ﷺ: كان أكرم الناس، وكان أجود الناس.

كما جاء في الصحيحين:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**»(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٨).

(أجود الناس) أسخى الناس أفعل تفضيل من الجود وهو العطاء.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ**»[(١)].

وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**». قَالَ: «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ**». قَالَ: "**وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ**".

(لم يراعوا) **أي**: روعا مستقرا، أو روعا يضركم.

(وجدناه بحرا) **أي**: واسع الجري.

(يبطأ) معناه يعرف بالبطء والعجز وسوء السير.

بل كان النبي ﷺ: يعطي الغنم بين الجبلين حتى يتألف بعض الأعراب على الإسلام.

وبوب الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم فقال: "**بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: "لَا"، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ**".

وأخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه برقم (٥٦) – (٢٣١١):

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا**».

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٧).

وأخرج في صحيحه برقم (٥٧) – (٢٣١٢):

عَنْ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " **مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ**"، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: "**يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ**" ».

(فأعطاه غنما بين جبلين) أي كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.

وأخرج في صحيحه برقم (٥٨) – (٢٣١٢):

عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «**أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ**» فَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**».

وأخرج في صحيحه برقم (٥٩) – (٢٣١٣):

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «**غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً**» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «**وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**».

قال العلامة القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المرقاة عند حديث رقم (١٩٦٦):

قوله: "وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ".

أَيْ: زِيَادَةً عَلَى مُعْتَادِهِ، وَإِلَّا فَلَا كَانَ عِنْدَهُ لَا فِي غَيْرِ رَمَضَانَ أَيْضًا.

فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "أَنَّهُ مَا سُئِلَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ"، «فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا"، وَكَذَا عِنْدَ مُسْلِمٍ.

أَيْ: مَا طُلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَمَنَعَهُ.

قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ ... لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمُ

قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: مَعْنَاهُ لَمْ يَقُلْ لَا مَنْعًا لِلْعَطَاءِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا يَقُولَهَا اعْتِذَارًا.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٩٢].

وَلَا يَخْفَى الْفَرْقُ: بَيْنَ قَوْلِ: "لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ"، وَبَيْنَ: "لَا أَحْمِلُكُمْ" اهـ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَالرَّسُولُ - ﷺ - حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

وَأَوْرَدَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُنَا سُؤَالًا وَجَوَابًا بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ يُنَاقِضُ صَوَابًا. اهـ

وكذلك: كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام آية في الكرم، والسخاء، والجود؛ صلوات الله عَزَّوَجَلَّ، وسلامه عليهم أجمعين.

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يذبح عجلًا سمينًا حنيذًا من أجل ثلاثة من الضيوف.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٦٩-٧١].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٣٠].

وكان: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أهل كرم، وجود، وسخاء، بالأنفس، وبالأموال، وبالأولاد.

وأكرمهم على الإطلاق: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

فقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ينفق ماله كله في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

كما جاء ذلك في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قُلْتُ: مِثْلَهُ،

قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: "**أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ**"، قُلْتُ: "**لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا**" (١).

وأعظم الكرم: هو أن يجود الإنسان بنفسه، وبماله، وبولده، كله هذا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ حتى تكون كلمة الله عَزَّوَجَلَّ هي العليا.

وقد بذل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: أنفسهم، وأموالهم، و أولادهم، في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، مجاهدين ومحتسبين الأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ.

فلما بذلوا ذلك كله في نصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ، نصرهم الله عَزَّوَجَلَّ على كل الأعداء: من اليهود، ومن النصارى، ومن المجوس، وغيرهم من الكفار والمشركين"، وفتحوا البلاد، وتوسعة بلاد الإسلام في عهدهم، وحكموا العالم، فصاروا ملوكًا وأمراء، ودانت لهم جميع الممالك.

فالكرم من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

ولكن ذلك لمن كان مؤمنًا صالحًا متمسكًا بدين الله عَزَّوَجَلَّ، ومتبعًا لسنة رسول الله ﷺ.

وإلا فهنالك من الكفار والمشركين من كان عندهم شيء من الكرم، ولم ينفعهم ذلك، مع عدم الإسلام والإيمان بهذا الدين الحنيف.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٦٧٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن". وهو في صحيح أبي داود الأم للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤٧٣).

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»(١).

وكذلك حاتم الطائي: كان يضرب به المثل في الكرم، ولكنه مات على الشرك، ولم ينفعه ذلك.

والبخل من أسباب الشقاوة.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من البخل.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: "**بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ البُخْلِ**".

ثم قال: "**البُخْلُ وَالبَخَلُ وَاحِدٌ، مِثْلُ الحُزْنِ وَالحَزَنِ**".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٣٧٠):

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلاَءِ الخَمْسِ: وَيُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**».

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٤).

٢٩) ترك فضول الكلام إلا في خير من أسباب السعادة

ومن أسباب السعادة أيضًا: قلة الكلام إلا في خير.

لأن الكلام: ربما يجر إلى الآثام، وإلى المحرمات.

وكثرة الكلام: مباحه يقسي القلب.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: "بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ".

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

(رقيب) حافظ لما يقول أو يعمل.

و(عتيد) حاضر مهيأ.

والمراد: الملكان اللذان يلازمان الإنسان، ويكتبان كل ما يصدر عنه من خير أو شر.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٤٧٤):

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**».

(يضمن...) يحفظه ويؤد حقه.

(ما بين لحييه) لسانه ولحييه مثنى لحي وهو العظم في جانب الفم.

(ما بين رجليه) فرجه.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٤٧٥):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**». وأخرجه مسلم

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٤٧٦):

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الخُزَاعِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعَ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي: النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، جَائِزَتُهُ» قِيلَ: مَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**». وأخرجه مسلم

(جائزته) أي: أعطوه جائزته، وهي الإكرام الزائد عن المعتاد.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٤٧٧):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**».

والحديث: أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٨٨).

كذا في جميع نسخ البخاري: «**أبعد مما بين المشرق**».

وفي مسلم: «**أبعد ما بين المشرق والمغرب**».

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٤٧٨):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

(من رضوان الله) مما يرضي الله تعالى.

(لا يلقي لها بالا) لا يبالي بها ولا يلتفت إلى معناها خاطره ولا يعتد بها ولا يعيها بقلبه.

(سخط الله) مما يغضبه ولا يرضاه.

(يهوي بها) يسقط بسببها.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَنِ الْأَغَرِّ بن يسار الْمُزَنِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

(ليغان) **قال أهل اللغة**: الغين والغيم بمعنى واحد والمراد هنا ما يتغشى القلب.

قال القاضي: **قيل**: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه، فإذا أفتر عنه أو غفل، عد ذلك ذنبا واستغفر منه. اهـ

والمعنى: أن النبي ﷺ قد يشغل عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان ذلك في ترتيب الجيوش للجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، أو في قضاء حوائج الناس والصحابة رضوان الله عليهم.

فكيف: إذا كان الإنسان يكثر الكلام بغير هذا، في القيل والقال الذي نهى النبي ﷺ عنه؛ لما يفضي بصاحبه إلى الآثام والمعاصي والمحرمات.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: **"بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ"**.

وأخرج:

عَنِ الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَنِي كَاتِبُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[١].

(قيل وقال) الاشتغال بما لا يعني من أقاويل الناس.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**»[٢].

فكم من إنسان سعد بكلامه، وكم من إنسان شقي بكلامه، والله المستعان.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (**١٤٧٧**)، والإمام مسلم في صحيحه (**٥٩٣**).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (**١٧١٥**).

٣٠) القناعة من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (القناعة).

لأننا نتألم على حالنا الذي نحن فيه إذا نظرنا إلى من فوقنا في الرزق، أو في المنصب، أو في البيت، أو في السيارة، أو في أي شيء من متاع الدنيا.

فهذا معه سيارة لاكزز، وهذا معه سيارة لاند كروزر، وهذا معه سيارة باردوا، وهذا معه عمارة كبيرة، وهذا معه تجارة، وهذا معه زوجات وأولاد كثر، وهكذا.

والإنسان يتطلّع إلى ما عنده غيره.

جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[(١)].

(كفافا) **قال في النهاية**: الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة إليه، وهو نصب على الحال.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٥٤).

وجاء في السنن:

من حديث فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ**»(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ**»(٢).

وجاء بلفظ آخر عند الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ** - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ - **عَلَيْكُمْ**».

(انظروا إلى من أسفل منكم الخ) **معنى أجدر**: أحق.

وتزدروا: تحتقروا.

قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير. اهـ

لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد؛ ليلحق بذلك أو يقاربه.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٤٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٠٦١)، وقال فيه: "هذا حديث صحيح".

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٦٣).

هذا هو الموجود في غالب الناس.

وأما إذا ما نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها، وتواضع، وفعل فيه الخير.

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "**بَابُ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**".

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٦-٦٣].

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٤٤٦):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**».

والحديث: **أخرجه مسلم في صحيحه برقم** (١٠٥١).

(الغنى) الحقيقي الذي يملأ نفس الإنسان ويكفه عن حاجة غيره.

(كثرة العرض) حطام الدنيا من الأمتعة ونحوها أو ما يصيبه الإنسان من حظوظ الدنيا.

فمن راقب الناس: تتطلع إلى ما في أيدهم، ويبقى مهمومًا، حزينًا، قلقًا.

بينما: لو كان زاهدًا فيما عند الناس، راضيًا فيما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ، وراغبًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ يرجو منه الخير في الدنيا، وفي الآخرة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

هنا ستجد السعادة.

وما يدريك أن الحال الذي أنت فيه خير لك من الأحوال الأخرى التي هي ليست لك.

ولعل الله عَزَّوَجَلَّ صرفها عنك حتى لا تفتن في هذه الدنيا، ولا يفسد حالك.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ولكن في شأن الآخرة، فالعبد ينظر إلى من هو فوقه؛ حتى ينافس، ويسارع، ويسابق، ويبادر في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[1].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٨).

٣١) الرضا بالقدر من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: (الرضا بالقدر).

فما من شيء يقع في هذا العالم، إلا بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلينا: أن نصبر على المصائب، ونتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من المعائب.

فإذا رضينا بالقدر، انشرح الصدر.

جاء في السنن:

عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ** " يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**» (١).

والإيمان بالقدر: هو أحد أركان الإيمان الستة.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٠٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

وكما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: "كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ:

فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

(أول من قال بالقدر) **معناه**: أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أصل الحق.

ويقال: القدَر والقدْر بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان:

واعلم: أن مذهب أهل الحق إثبات القدر.

ومعناه: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وإن الأمر أنف) أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه. اهـ

فالإيمان بالقدر: يجعلك سعيدًا وإن كثر أعداؤك، يجعلك سعيدًا وأن قل مالك، يجعلك سعيدًا وإن كثر مرضك وسقمك، يجعلك سعيدًا وإن طال حزنك وهمك وغمك، يجعلك سعيدًا وإن ضعف بدنك.

جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عبدالله ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[(١)].

فلماذا: تبتأس وأمرك إلى الله عَزَّوَجَلَّ؟

أمرك بيد الله عَزَّوَجَلَّ، العليم الخبير.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: هو الذي خلقك، وهو الذي كتب رزقك، وهو الذي يشفيك من مرضك، وهو الذي يؤمنك من خوفك، وهو الذي ينصرك على من ظلمك، وهو الذي يسترك ويغفر ذنبك إذا تبت ورجعت إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فلا تتخوف، ولا تحزن، ولا تكترب، ولا تبتأس من هذا.

واعلم: أن ما عند الله عَزَّوَجَلَّ خير للعبد المؤمن في دنياه، وفي أخراه، والله أعلم.

إلا أنه لا يجوز للعاصي أن يستدل بالقدر على المعاصي، وعلى الذنوب التي يواقعها.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥١٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال "صحيح". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٦٨٥).

لأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق للعبد قدره، وإرادة، وبين حرمتها في كتابه، وفي سنة نبيه ﷺ، **فالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أنزل الكتب، وأرسل الرسل لهداية الخلق، ولدعوتهم إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيده، وإلى التحذير من الشرك والكفر، ومن سائر الذنوب والمعاصي.

فالواجب على المكلف: أن يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من المعاصي، وأن يرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨١-٨٢].

فلو أن الناس: حققوا الإيمان بالقدر، والله ما تجد إلا الخير العظيم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وستجدهم سعداء بفضل الله عَزَّوَجَلَّ.

جاء في الصحيحين:

من حديث أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ - قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ

كَأَنَّهَا شَنٌّ - فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(١).

(ولتحتسب) تطلب بصبرها الأجر والثواب من الله تعالى ليحسبه لها من أعمالها الصالحة.

ولما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ صبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه فقال: "بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»".

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَدْمَعُ العَيْنُ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ».

وأخرج في صحيحه برقم (١٣٠٣):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟" فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» رَوَاهُ مُوسَى، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ المُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

والحديث: أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣١٥).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٢٣).

فالإيمان بالقدر: راحة للقلب، وسكينة للنفس، وطمأنينة للروح.

تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ ما أصابك بهذا الذي فقدته؛ إلا ليرفعك في درجات الجنة، ويكفر عنك الذنوب والسيئات بهذا الابتلاء؛ فلهذا تصبر، وترضى، وتسلم لله عَزَّوَجَلَّ.

فربما ما عند الله عَزَّوَجَلَّ خير لك من الذي أخذ عليك في الحياة الدنيا، سواء كان من الأولاد، أو من الأموال، أو من المساكن، أو من الزوجات، أو من غير ذلك.

فرب مرض وأنت تتألم منه بشدة، وتقاسي الألم منه، وفيه الرفعة العظيمة لك في الدرجات العلى.

جاء في مسند الإمام أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(١).

إذًا: على العبد أن يرضى بالقدر حتى يسعد بكل ما يحصل له مما قدره الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

وعندنا إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ أزمة وضعف في باب الرضا بالقدر، وإن كنا نعتقد ونؤمن بأن كل شيء لا يقع في هذا الكون إلا بقدر الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) أخرجه الإمام أبي يعلى في مسنده برقم (٦٠٩٥)، وابن حبان (٢٩٠٨)، والحاكم (١/ ٣٤٤) ". وهذا إسناد حسن. وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٥٩٩)، وقال فيه: "وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، غير البجلي هذا، وهو كما قال الحافظ: " لا بأس به ".

لكن أين نحن من الصبر على قدر الله عَزَّوَجَلَّ الذي يصيبنا.

فأين نحن من الرضا بقدر الله عَزَّوَجَلَّ وقت المصيبة، ووقت الابتلاء.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: **"بَابُ الصَّبْرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"**.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نِعْمَ العِدْلاَنِ، وَنِعْمَ العِلاَوَةُ.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

(العدلان) المثلان ومراده بهما الصلوات والرحمة لمن صبر واحتسب عند المصيبة.

(العلاوة) ثناء الله تعالى عليهم بالهداية والعدلان في الأصل ما يوضع على شقي الدابة من الحمل والعلاوة ما يوضع عليه بعد تمام الحمل كالزاد وغيره.

(صلوات) مغفرة.

(استعينوا) على تحمل ما يستقبلكم من البلايا والمصائب.

(لكبيرة) ثقيلة وشاقة.

(الخاشعين) الخاضعين المستسلمين لأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم أخرج في صحيحه برقم (١٢٨٣):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**».

(الصدمة الأولى) أول وقوع المصيبة الذي يصدم القلب فجأة وأصلها من الصدم وهو الضرب في الشيء الصلب.

والحديث: أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه برقم (٩٢٦).

٣٢) الطمع في الآخرة من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الطمع في الآخرة).

ومعرفة ما ستقدم عليه في الآخرة، ولذلك تعمل، وتدأب، كل هذا لرفع الدرجات في الآخرة.

وما وقع فيك من الآفات في الدنيا، فإنك تعلم أن الآخرة خير لك من الأولى.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝٥﴾ [الضحى: ٤-٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٦-١٩].

٣٣) حسن الخُلق من أسباب السعادة

❀ **فمن أسباب السعادة: (حسن الخُلُق).**

فمن كان حسن الأخلاق **مع** طاعته لله عَزَّوَجَلَّ، واتباعه لسنة النبي ﷺ، نال بذلك السعادة الدائمة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا، وفي الآخرة.

ومن كان: حسن الأخلاق تجد قلبه منشرحًا، ليس فيه ضيق صدر على الناس، ولا يحسد، ولا يحقد، ولا يسب، ولا يشتم، ولا يظلم، ولا يتعدى، ولا شيء من ذلك.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: **"بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ"**.

ثم أخرج في صحيحه برقم (٦٠٣٥):

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخلاَقًا**».

وجاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ».

وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»، أخرجه أبو داود (**٤٧٩٩**).

والأحاديث في فضل حسن الخلق كثيرة جدًا.

وقد كان النبي ﷺ: يدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديه لأحسن الأخلاق والأعمال.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «**اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ**

مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)].

(واهدني لأحسن الأخلاق) **أي**: أرشدني لصوابها ووفقني للتخلق به

(لبيك) **قال العلماء**: معناه أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة يقال لب بالمكان لبا وألب إلبابا إذا أقام به وأصل لبيك لبين فحذفت النون للإضافة.

(وسعديك) **قال الأزهري وغيره**: معناه مساعدة لأمرك بعد مساعدة ومتابعة لدينك بعد متابعة.

(أنا بك وإليك) **أي**: التجائي وانتمائي إليك وتوفيقي بك.

(أنت المقدم وأنت المؤخر) **معناه**: تقدم من شئت بطاعتك وغيرها وتؤخر من شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك.

والمهم أن حسن الخلق هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه، فمن توفرت فيه هذه الثلاث السمات والصفات في تعامله مع غيره لقد نال مرتبة علية، وحصل خلة سَنيّة، وقد أحسن من قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

٣٤- ٣٥) البعد عن الحسد والحقد من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**البعد عن الحسد والحقد**).

فأكثر ما يقسي قلوب الناس: هو الحسد، وكذلك البغض لهم، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾.

ورسول الله ﷺ يقول: (**لا تحاسدوا**) متفق عليه عن أبي هريرة.

فالمؤمن: يرضى بما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يحسد أحدًا من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الحسد ضيق للصدر وتعب للجسد، وقد أحسن من قال:

وتجانب الحرص ودع عنك الحسد = ففيهما الذل وإتعاب الجسد

وأفضل علاج للحسد: هو الإيمان بالقضاء والقدر.

كما قال الشاعر:

لله در الحسد ما أعدله ... بدأ بصاحبه فقتله

فالحاسد: عنده صدر ضيق على عباد الله عَزَّوَجَلَّ إذا أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من نعم بفضله وجوده.

والحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير.

وشر الحاسدين: من يتمنى زوال النعمة عن الغير ولو للغير.

فمن سلم من الحسد انشرح صدره، واطمأن قلبه، وسكنت نفسه، وهدأت روحه، وسعُد في حياته بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فإذا رأى نعمة على أخيه المسلم، دعا له بالخير والبركة، وسأل الله عَزَّوَجَلَّ من فضله.

قال ابن حبان في "روضة العقلاء" (ص: ١٣٣):

الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء وإرادة ضد مَا حكم الله جل وعلا لعباده ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عَن المسلم والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عَن أخيه وهيهات أن يساعد القضاء مَا للحساد في الأحشاء

وأنشدني مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن حبيب الواسطي:

أعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلي حسن في مثله الحسد
إن يحسدوني فإني لا ألومهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مَا بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي وجدوني في صدورهم ... لا أرتقي صدرا منهم ولا أرد

اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ١٣٤): الحسد من أخلاق اللئام وتركه من أفعال الكرام ولكل حريق مطفيء ونار الحسد لا تطفأ

ومن الحسد يتولد الحقد والحقد أصل الشر ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتا مرا مذاقه نماؤه الغيظ وثمرته الندم

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عَن غيره وحلولها فيه فأما من رأى الخير في أخيه وتمنى التوفيق لمثله أو الظفر بحاله وهو غير مريد لزوال مَا فيه أخوه فليس هذا بالحسد الذي ذم ونهي عنه

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عَلَيْهِ فكلما أتحفه الله بترداد النعم ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم. اهـ

وقد أحسن من قال:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم   وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

٣٦) الرحمة من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة**: **(الرحمة)**.

لأن: إذا رَحِمْتَ رُحِمْتَ.

كما جاء في السنن:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ**».

ثم قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (١).

ارحموا أبناءكم.

ارحموا زوجاتكم.

ارحموا آباؤكم.

ارحموا أمهاتكم.

ارحموا إخوتكم.

ارحموا خواتكم.

ارحموا أقاربكم.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٤١)، والإمام الترمذي (١٩٢٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٩٢٥).

ارحموا جيرانكم.

ارحموا من ولاكم الله أمرهم.

ارحموا إخوانكم المسلمين.

جاء في السنن:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[(١)].

فالاتصاف بهذه الصفة من أجمل ما يكون فهي صفة الرحمن وصفة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وصفة خلص أهل الإسلام، فمن لزمها عاش سعيداً حميداً، وكانت الرحمة من أسباب السعادة لأنها ترضي الله.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٤٢)، و الإمام الترمذي في سننه (١٩٢٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن".

٣٧) بر الوالدين من أسباب السعادة

❀ **من أسباب السعادة أيضًا**: (**بر الوالدين، والإحسان إليهما**).

ولا سيما عند الكبر، وعند الضعف.

والله عَزَّوَجَلَّ: قد أمر بالإحسان إلى الوالدين، حتى وإن كانا مشركين كافرين.

فكيف بمن كانا مؤمنين موحدين؟

فالجواب: لا شك ولا ريب، أن حقهما أعظم، وأن برهما آكد.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٤-٢٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

لأن رضاهما رضى لله عَزَّوَجَلَّ.

وسخطهما سخط لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قرن الله عَزَّوَجَلَّ: بر الوالدين بتوحيده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قيل: لبيان عظم حق الوالدين.

وقيل: لأنهما السبب في إيجادك على هذه الحياة الدنيا بعد قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**»[(١)].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٨٩٩)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٥١٦).

٣٨) طاعة أولياء الأمور في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**طاعة أولياء الأمور في طاعة الله** عَزَّوَجَلَّ).

وعدم الخروج عليهم بالثورات، وبالانقلابات، وبالمظاهرات، وبالتفجيرات، وبالتكفير، وبغير ذلك من أنواع الخروج.

فإن فعل ذلك: من أسباب الشقاوة.

جاء في الصحيحين:

من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(١).

انظروا إلى بلاد اليمن إين صارت بعد الثورات والخروج على ولي الأمر.

وانظروا إلى بلاد مصر أين صارت بعد الثورات.

وانظروا إلى بلاد ليبيا أين صارت بعد الثورات.

وانظروا إلى بلاد السودان أين وصلت بعد الثورات.

فالثورات لا تأتي بخير للمسلمين.

والمظاهرات لا تأتي بخير للمسلمين.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٠).

والخروج على ولاة الأمر لا يأتي بخير للمسلمين.

وهذه الأيام مظاهرات في بلاد المغرب، ونخشى أن تصل إلى ما وصلت إليه البلاد العربية الإسلامية بعد الثورات والخروج على ولاة الأمر.

فهم قد بدأوا بما قد انتهى منه الناس.

وهم يعلمون أن هذا من أسباب الشقاوة.

انقطعت سبلنا، وقلت أرزاقنا.

تعبنا في أسفارنا.

غلت أسعارنا.

وكل ذلك بسبب الخروج على أولياء الأمور، وبسبب المظاهرات، وبسبب الثورات، وبسبب الانقلابات.

ولو لزمنا طاعة أولياء الأمور في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، لحصل لنا الخير الكثير بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

ونكون في بعد عن التكفير، والتفجير، والمظاهرات، والثورات، والانقلابات، التي جاءت من الكفار والمشركين، ومن أعداء هذا الدين.

لسلم لنا شأننا، ولصلحة بلادنا، ولحصل الأمن، ولحصل الرخاء، ولحصل الخير العظيم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وانظروا إلى بلاد المملكة العربية السعودية لما سلمت بلادهم من هذه الشرور؛ فإنهم في أمن، وفي رخاء، وفي خير عظيم لا يعلم به إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وبلادهم في تقدم، وفي ازدهار، وفي رفعة، لا يعلم بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، والله أعلم.

٣٩) البعد عن الحزبيات والبدع من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**البعد عن الحزبيات، وملازمة الجماعة**).

فالحزبيات والبدع: تسببت بالفُرقة بين المسلمين، فهذا يتربص بأخيه، وهذا يتربص بأخيه، وتختلف الأمة، وتتمزق، ويحصل الضعف.

وكل واحد يريد رفعة نفسه، وحزبه، وجماعته، وتضيق الصدور وتحصل الشرور.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ **[الأنفال: ٤٦]**.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ **[آل عمران: ١٠٣-١٠٥]**.

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **[الأنفال:٦٣]**.

وغيرها من الآيات التي تذم الفرقة التي تسبب الضعف بين المسلمين.

وتمدح الألفة والمحبة، كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

فالسعادة في الأخوة والتصافي والتحاب والتواد والتراحم والتعاون على البر والتقوى وكل ذلك يضعف أو ينعدم حين وجود الفرقة والبدع والتحزبات.

٤٠) العمل الصالح من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (العمل الصالح).

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. **أي** حياة سعيدة، وهذا في الدنيا، وأيضًا في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٤/ ٦٠١):

هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا -وَهُوَ الْعَمَلُ الْمُتَابِعُ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقَلْبُهُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ الْمَأْمُورَ بِهِ مَشْرُوعٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ -بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يَجْزِيَهُ بِأَحْسَنِ مَا عَمِلَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَجَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ فَسَّرُوهَا بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّهُ فَسَّرَهَا بِالْقَنَاعَةِ".

وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وَعِكْرِمَة، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا السَّعَادَةُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: لَا يَطِيبُ لِأَحَدٍ حَيَاةٌ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ وَالْعِبَادَةُ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: هِيَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ وَالِانْشِرَاحُ بِهَا.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ تَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ بْنُ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِي، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ورُزِق كَفَافًا، وقَنَّعه اللهُ بِمَا آتَاهُ"**.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ الْمُقْرِئِ بِهِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هَانِئٍ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْجَنْبِيِّ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا، وَقَنِعَ بِهِ"**. اهـ

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٦-٩٧].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن

تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وفي آيات كثيرات: تدل على أن من أعظم أسباب السعادة في الدنيا وفي الآخرة، هو الإيمان بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والعمل الصالح.

٤١) سلامة القلب من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (سلامة القلب).

فأكثر المنغصات تأتينا من قلوبنا.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشعراء: ٨٥-٩٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٦/ ١٤٩):

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾ **أَيْ**: لَا يَقِي الْمَرْءَ مِنْ عَذَابِ اللهِ مَالُهُ، وَلَوِ افْتَدَى بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا.

﴿وَلَا بَنُونَ﴾ وَلَوِ افْتَدَى بِمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَلَا ينفعُ يَوْمئِذٍ إِلَّا الإيمانُ بِاللهِ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، وَالتَّبَرِّي مِنَ الشِّرْكِ.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ **أَيْ**: سَالِمٍ مِنَ الدَّنَسِ وَالشِّرْكِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.

و**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ حَيِي يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَغَيْرُهُمَا: ﴿بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ **يَعْنِي**: مِنَ الشِّرْكِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ: هُوَ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ، وَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ قَلْبَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مَرِيضٌ.

قَالَ اللَّهُ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الْبَقَرَةِ:١٠].

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ: هُوَ الْقَلْبُ الْخَالِي مِنَ الْبِدْعَةِ، الْمُطْمَئِنُّ إِلَى السُّنَّةِ. اهـ

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (١٣/ ١١٤):

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ "يَوْمَ" بَدَلٌ مِنْ" يَوْمَ" الْأَوَّلِ.

أَيْ: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ أَحَدًا.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ **الْأَعْوَانُ، لِأَنَّ الِابْنَ إِذَا لَمْ يَنْفَعْ فَغَيْرُهُ مَتَى يَنْفَعُ؟**

وَقِيلَ: **ذَكَرَ الْبَنِينَ لِأَنَّهُ جَرَى ذِكْرُ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ.**

أَيْ: لَمْ يَنْفَعْهُ إِبْرَاهِيمُ.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْكَافِرِينَ.

أَيْ: لَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ وَلَا بَنُوهُ.

وَقِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ.

أَيْ: لَكِنْ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ يَنْفَعُهُ لِسَلَامَةِ قَلْبِهِ.

وَخَصَّ الْقَلْبَ: بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُ الَّذِي إِذَا سَلِمَ سَلِمَتِ الْجَوَارِحُ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ سَائِرُ الْجَوَارِحِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ" الْبَقَرَةِ".

وَاخْتُلِفَ فِي الْقَلْبِ السَّلِيمِ فَقِيلَ: مِنَ الشَّكِّ وَالشِّرْكِ، فَأَمَّا الذُّنُوبُ فَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ الصَّحِيحُ هُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، لِأَنَّ قَلْبَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مَرِيضٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ السَّيَّارِيُّ: هُوَ الْقَلْبُ الْخَالِي عَنِ الْبِدْعَةِ الْمُطْمَئِنُّ إِلَى السُّنَّةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: سَلِيمٌ مِنْ آفَةِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: السَّلِيمُ فِي اللُّغَةِ اللَّدِيغُ، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ قَلْبٌ كَاللَّدِيغِ مِنْ خَوْفِ اللهِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: السَّلِيمُ الْخَالِصُ. اهـ

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٢-٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٧/ ٤٠٦):

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ **أَيْ**: مَنْ خَافَ اللهَ فِي سِرِّهِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ.

كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **"وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"**.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ **أَيْ**: وَلَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مُنِيبٍ إِلَيْهِ خَاضِعٍ لَدَيْهِ.

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ **أَيْ**: الْجَنَّةَ ﴿بِسَلَٰمٍ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمِ مَلَائِكَةُ اللهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾.

أَيْ: يَخْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَمُوتُونَ أَبَدًا، وَلَا يَظْعَنُونَ أَبَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾.

أَيْ: مَهْمَا اخْتَارُوا وَجَدُوا مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الْمَلَاذِّ طَلَبُوا أُحْضِرَ لَهُمْ. اهـ

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (١٧/ ٢١):

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٖ مُّنِيبٍ﴾: مُقْبِلٍ عَلَى الطَّاعَةِ.

وَقِيلَ: مُخْلِصٌ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: عَلَامَةُ الْمُنِيبِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا لِحُرْمَتِهِ وَمُوَالِيًا لَهُ، مُتَوَاضِعًا لِجَلَالِهِ تَارِكًا لِهَوَى نَفْسِهِ.

قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْقَلْبُ الْمُنِيبُ الْقَلْبَ السَّلِيمَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ سَلِيمٖ﴾ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: **أَيْ**: يُقَالُ لِأَهْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ **أَيْ** بِسَلَامَةٍ مِنَ الْعَذَابِ.

وَقِيلَ: بِسَلَامٍ مِنَ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِمْ.

وَقِيلَ: بِسَلَامَةٍ مِنْ زَوَالِ النِّعَمِ.

وَقَالَ: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ وَفِي أَوَّلِ الْكَلَامِ ﴿مَّنْ خَشِيَ﴾، لِأَنَّ ﴿مَّنْ﴾ تَكُونُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ.

قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ يَعْنِي مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ وَتَلَذُّ أَعْيُنُهُمْ.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ مِنَ النِّعَمِ مِمَّا لَمْ يَخْطِرْ عَلَى بَالِهِمْ.

وَقَالَ أَنَسٌ وَجَابِرٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: الْمَزِيدُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ. اهـ

فخلاصة القلب السليم: هو الذي سلم من الشبهات، ومن الشهوات.

وجاء في الصحيحين:

من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

فالقلب هو ملك الجوارح والأعضاء في الجسد.

فإذا صلح القلب صلحت بقية الجوارح، وصلح الجسد كله.

وإذا فسد القلب فسدت بقية الجوارح والأعضاء، وفسد الجسد كله.

(وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه) **أي**: مدهما إليهما ليأخذهما إشارة إلى استيقانه بالسمع.

(إن الحلال بين والحرام بين).

أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٩).

قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه.

وعلى حديث: «**الأعمال بالنية**».

وحديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

وقال أبو داود السجستاني: يدور على أربعة أحاديث، هذه الثلاثة.

وحديث: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

وقيل: **حديث**: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**».

قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها.

وأنه ينبغي أن يكون حلالا وأرشد إلى معرفة الحلال، وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات.

وأوضح ذلك: بضرب المثل بالحمى، ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب.

فقال ﷺ: (**ألا وإن في الجسد مضغة الخ**) فبين ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه.

وأما قوله ﷺ: (**الحلال بين والحرام بين**).

فمعناه: أن الأشياء ثلاثة أقسام حلال بين واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضة وغير ذلك من المطعومات.

وكذلك الكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات فيها حلال بين واضح لا شك في حله.

وأما الحرام البين: فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح وكذلك الزنى والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك.

وأما المشتبهات: فمعناها أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يدركون حكمها.

وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك.

فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد، فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي فإذا الحقه به صار حلالا.

وقد يكون دليله غير خال من الاحتمال البين فيكون الورع تركه.

ويكون داخلًا في قوله ﷺ: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه".

(استبرأ لدينه وعرضه) **أي**: حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه.

(ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه).

معناه: أن ملوك العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله.

فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه.

ولله تعالى أيضًا حمى وهي محارمه.

أي: المعاصي التي حرمها الله كالقتل والزنى والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشباه ذلك.

فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئا من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه.

فمن احتاط لنفسه لم يقاربه، ولم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات.

(ألا وإن في الجسد مضغة) **قال أهل اللغة**: يقال صلح الشيء وفسد بفتح اللام والشين وضمهما والفتح أفصح وأشهر.

والمضغة: القطعة من اللحم، سميت بذلك؛ لأنها تمضغ في الفم لصغرها.

قالوا المراد: تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد، مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب. اهـ

وجاء في سنن الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[١].

فهذا هو القلب السليم.

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

سليم بالتوحيد.

سليم من الشرك والتنديد.

سليم من الحسد والبغضاء والحقد على المسلمين.

سليم من المؤذيات، والمقلقات.

لأن مبدأ ما يؤذي الإنسان من قلبه.

فطهر قلبك.

ونظف قلبك.

وذلك من جميع الشبهات، ومن جميع الشهوات، تسعد، وترتاح، وتهنأ بالعيش.

فمن سلم قلبه سعد، ومن لا ناله من الشقاء والهموم والغموم بقدر بعد قلبه وضيقه، والله أعلم.

٤٢) حفظ الجوارح من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (حفظ الجوارح).

والجوارح عديدة:

الأولى: العين، والنظر.

الثانية: الأذن، والسمع.

الثالثة: الفم، والكلام.

الرابعة: اليد، واللمس.

الخامسة: الأنف والشم.

السادسة: الفرج.

السابعة: القلب، والفؤاد.

فأغلب الشقاوات تأتي من خلالها، أو عن طريقها.

ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن

﴿زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣٠-٣١].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

يقول الشاعر:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترٍ؟

وقال الآخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كلّه أنت قادر ... عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبي:

وأنا الذي جلب المنية طرفه ... فمن المطالب، والقتيل القاتل؟

وهكذا كم من إنسان يضيع، ويضيق قلبه وصدره.

وهذا كله بسبب الخيانة، بسبب التجسس.

بسبب النظر المحرم.

بسبب السمع؛ سماع الأغاني والمعازف، بسبب سماع الشرور.

بسبب اللسان؛ الكلام الذي لا فائدة فيه ولا مصلحة منه، بسبب الغيبة، بسبب النميمة، بسبب الكذب، بسبب قول الزور، بسبب السب، بسبب الشتم، بسبب الكلام الفاحش.

بسبب الفرج؛ الوقوع في الزنى، أو في اللواط، أو في العادة السرية، أو في غير ذلك.

فهذه الجوارح إذا حافظنا عليها من الوقوع في المحرمات، ومن الوقوع في المعاصي، ومن الوقوع في الكبائر، نلنا السعادة العظيمة من جوانبها العظيمة، بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وارتاحت أنفسنا.

واطمأنت قلوبنا.

وسكنت أرواحنا.

وصلح بالنا، وأولادنا، وأحوالنا.

ونلنا الأرزاق العظيمة من الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٩٦-١٠٠].

فالسعادة: تكون بحفظ الجوارح مما حرم الله عَزَّوَجَلَّ علينا.

٤٣) صلاح العقيدة أعظم أسباب السعادة

❀ **ومن أعظم أسباب السعادة وهو جماع ما تقدم**: (صلاح العقيدة).

فصلاح العقيدة: أعظم سبب لسعادة الدنيا، والآخرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

صلاح العقيدة: من الأمور المهمة، ولذلك أنزل الله عَزَّوَجَلَّ القرآن الكريم، وبلغ النبي ﷺ، واتفق السلف الصالح الكرام رضوان الله عليهم، على هذا الباب العظيم.

جاء في الصحيحين:

من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

فالعقيدة: عائدة إلى القلب، فلا بد للمرء أن يسعى في إصلاح قلبه بالعقيدة الصحيحة، قال الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ كما في "موسوعة العقيدة" بعد ذكر حديث النعمان السابق (٤/ ٦١): فإذاً: صلاح الظاهر بصلاح الباطن، لكن من العجائب الغيبية الدقيقة التي لو لم نؤتَ بهذا الشرع السمح لما عرفناها: أن كلاًّ من الظاهر والباطن يتفاعلان ويتعاونان، إذا قوي القلب صلح الظاهر، إذا صلح

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٩).

الظاهر ازداد القلب قوةً، وهكذا دواليك، ولذلك نخرج بنتيجة هامة جداً، وهي أن على كل مسلم يهتم بأحكام دينه أن يعنى بظاهره كما يعنى بباطنه، ولا يقول: كما تقول الجهلة حينما تأمرهم بالإتيان بما فرض الله عليهم من الفروض والواجبات كالصلاة مثلاً يقول لك: يا أخي العبرة ما هو بالصلاة العبرة بما في القلب الجواب الآن تعرفونه لو كان هذا قلبه سليماً صحيحاً لنضحت جوارحه بما ينبئ عن صلاح قلبه، لكن الواقع أن الأمر على العكس تماماً، هو يقول العبرة بما في القلب، طبيب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

إذاً: علينا أن نهتم بإصلاح الظواهر كما نهتم بإصلاح البواطن، ولا نغتر بهذه الكلمة التي تصدر من بعض الجهلة، وهي أن العبرة بما في الباطن فقط، لا؛ لأن الظاهر والباطن مترابطان متعاونان أشد التعاون فأحدهما يقوي الآخر كما ذكرنا. اهـ

والعقيدة الصحيحة هي عقيدة القرآن الكريم، وعقيدة السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، وعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾ [الليل: ٤-١٤].

والنبي ﷺ حين بعثه الله عَزَّوَجَلَّ بعثه إلى أمة قد بلغت في فساد العقيدة مبلغًا لا بعده.

جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»(١).

فأبغضهم الله عَزَّوَجَلَّ لما هم عليه من فساد العقيدة، ولما لهم عليه من فساد الأخلاق، ولما لهم عليه من فساد الطبائع، ويدل على ذلك حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في قصة النجاشي وفيها قال: فقال جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ "، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا)، أخرجه أحمد (١٧٤٠).

وبدأ النبي ﷺ بدعوة الناس إلى إصلاح العقيدة، ابتداءً في الله عَزَّوَجَلَّ.

فكان النبي ﷺ يقول لهم: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

كما جاء صحيح الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث طَارِقٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهُ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ".

ودعاهم النبي ﷺ إلى الفلاح بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم قد جعلوا مع الله عَزَّوَجَلَّ آلهة غيره تعالى الله عَزَّوَجَلَّ عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾

[الصافات: ٣٥-٣٧].

فالنبي ﷺ بدأهم بالدعوة إلى إصلاح العقيدة في ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك بتوحيده، وإفراده بالعبادة.

فأمرهم بأن يقولوا: "لا إله إلا الله"، بألسنتهم نطقًا، ويعتقدوها بقلوبهم، ويحققوها بجوارحهم، حيث يعملون بمقتضاها، ولا يصرفون أي نوع من أنواع العبادة إلا لله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له.

ولهذا تعجب الكفار من هذا القول.

كما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [ص: ٤-٧].

فيظهر لنا أهمية إصلاح العقيدة في تحقيق سبب السعادة الدائمة الحقيقة في الدنيا، وفي الآخرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ بما أخرجه الإمام قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِعَوْنِ اللهِ نَبْتَدِئُ، وَإِيَّاهُ نَسْتَكْفِي، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ».

ثم أخرج في صحيحه برقم (٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ كَهْمَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، ح وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ - وَهَذَا حَدِيثُهُ - حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: "كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ

يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

وبوب عليه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح مسلم فقال**: "**بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ**".

هذه هي العقيدة، في هذه الأصول الستة، وهي أصول الإيمان، وهي التي اتفق عليها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

منذ أن خلق الله عَزَّوَجَلَّ أبو البشرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإلى أن ختمهم الله عَزَّوَجَلَّ بمحمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم من ربهم الصلاة والسلام إلى يوم الدين.

❀ **فلا بد من إصلاح العقيدة في هذه الستة الأصول:**

الأول: الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: الإيمان بملائكة الله عَزَّوَجَلَّ عليهم السلام.

الثالث: الإيمان بكتب الله عَزَّوَجَلَّ المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

الرابع: الإيمان برسل الله عَزَّوَجَلَّ عليهم الصلاة والسلام.

الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن فسدت عقيدته في بعض هذه الأصول، أو في كلها؛ ناله من الفساد العظيم، الفساد العلمي والعملي، والفساد الدنيوي والأخروي، بقدر ما نقصه منها.

ومن اعتقدها، وحققها، وعمل بها؛ ناله من السعادة العظيمة في الحياة الدنيا، وفي الآخرة بقدر ما حققه فيها، وبقدر انقياده، وبقدر عمله بها.

٤٤) ملازمة طريق السعداء من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (ملازمة طريق السعداء).

وهي: طريق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، طريق المؤمنين، طريق الأصفياء، في جميع الجوانب العلمية، والعملية.

وما ذكرناه عبارة عن قليل من كثير.

وعبارة عن قطرة من مطرة.

وعبارة عن غيظ من فيض.

فيا إخوة الجميع نبحث عن السعادة، فما علينا إلا أن نسلك المسالك الشرعية، والمسالك القدرية، التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ سببًا لذلك.

وسنجد من الله عَزَّوَجَلَّ الإكرام.

وسنجد من الله عَزَّوَجَلَّ الإحسان.

وسنجد من الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق لطاعة الملك العلام.

أسباب السعادة القدرية

ذكرت في الفصل الأول أسباب السعادة الشرعية والمعنوية التي من تحلى وتخلق بها نال السعادة النفسية والراحة القلبية في دنياه ونال السعادة التامة في أخراه بسكونه في دار السعداء: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

فيها تسعد روحه فلا هم ولا حزن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

وفيها يسعد بصره فلا يرى وينظر إلا ما يسعده ويبهجه من الزوجات الجميلات والقصور العظيمات والأفنان النديات وحالهم: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ وأعظم ذلك النظر إلى وجه الرب العظيم الكريم كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وأي لذة أعظم من هذا وكان من دعاء رسول الله ﷺ: **(وأسألك لذة النظر إلى وجهك)**.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في حادي الأرواح:

عن النظر إلى وجه الله تعالى: هي الغاية التي شمر إليها المشمرون و تنافس فيها المتنافسون و تسابق إليها المتسابقون و لمثلها فليعمل العاملون إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه و الحجاب عنه لأهل الجحيم

أشد عليهم من عذاب الجحيم اتفق عليها الأنبياء و المرسلون و جميع الصحابة والتابعون و أئمة الإسلام على تتابع القرون وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله و رسوله و دينه مسالمون وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه. انتهى

وفيها يسعد سمعه فلا يسمع ما يؤذيه والحال كما قال الله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

قال ابن القيم في حادي الأرواح (ص: ٩٥):

والله يدعوا إلى دار السلام وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ السلام الذي سلمها وسلم أهلها ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾. انتهى

وهكذا ما يحصل من غناء الحوريات مما ترتاح له الأسماع.

وتسعد جوارحهم فلا تتعب ولا تنصب بشيء من العمل بحال وشغلهم فيها بما يسعدهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ بافتضاض الأبكار وبغير ذلك من الخيرات الحسان.

وتسعد ألسنتهم بملازمة التسبيح والذكر ففي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله: (**يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**) ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد.

وماذا نذكر ونذر فهي السعادة التي يعجز عن وصفها الواصفون وعن التكلم بها المتكلمون يكفي أنها: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣﴾، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ۝٣٥﴾ إذ أن الذي يحزن الإنسان القطع والمنع وهو مرفوع في الجنة.

قال ابن القيم في مقدمة حادي الأرواح (ص: ٦):

ونداء المنادي يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا وسيق المجرمون إلى جهنم وردا ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد ليعلمن أهل الموقف من أولي

بالكرم من بين العباد فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر لعلم أي: بضاعة أضاع وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع وعلم أن القوم قد توسطوا ملكًا كبيرًا، لا تعترية الآفات ولا يلحقه الزوال وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنة يتقلبون وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون وعلى الفرش التي: بطائنها من إستبرق يتكئون وبالحور العين يتنعمون وبأنواع الثمار يتفكهون، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد فما قلب ولا استام! إلا أفراد من العباد فواعجبا لها كيف نام طالبها وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها وكيف قرت دونها أعين المشتاقين وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين.

شعر في وصف الجنة:

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد المز ... يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة ... محب يري أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيّما في لثمها عند ضمها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند إجتلائها ... فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها ... وللخمر ما قد ضمه الريق والفم

تقسم منها الحسن في جمع واحد فيا عجبا من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت بجملتها إن السلو محرم
تذكر بالرحمن بمن هو ناظر فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها تولي على أعقابه الجيش يهزم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها تيقن حقا انه ليس يهرم
وكن مبغضا للخائنات لحبها فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما ممن سواها فإنها لمثلك في جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك في غد تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص فما فاز باللذات من ليس يقدم
وأن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي على جنات عدن فأنها منازلها الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وحي على السوق الذي فيه يلتقي المحبون ذاك السوق للقوم تعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له فقد أسلف التجار فيه واسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح وتربته من إذفر المسك أعظم

منــابر مــن نــور هنــاك وفضــة ومــن خــالص العقيــان لا تتقصــم

وكثبــان مســك قــد جعلــن مقاعــدا لمــن دون أصــحاب المنــابر يعلــم

فبينــا همــوا في عيشــهم وســرورهم وأرزاقهــم تجــري علــيهم ونقســم

ذاهــم بنــور ســاطع أشــرقت لــه بأقطارهــا الجنــات لا يتــوهم

تجلــى لهــم رب الســماوات جهــرة فيضــحك فــوق العــرش ثــم يكلــم

ســلام علــيكم يســمعون جمــيعهم بــآذانهم تســليمه إذ يســلم

يقــول ســلوني مــا أشــتهيتم فكــل مــا تريــدون عنــدي أننــي أنــا أرحــم

فقــالوا جميعــا نحــن نســألك الرضــا فأنــت الــذي تــولى الجميــل وتــرحم

فيعطــيهم هــذا ويشــهد جمــيعهم عليــه تعــالى الله فــالله أكــرم

فيــا بائعــا هــذا بــبخس معجــل كأنــك لا تــدري بلــى ســوف تعلــم

فــإن كنــت لا تــدري فتلــك مصــيبة وإن كنــت تــدري فالمصــيبة أعظــم

اهـ

فضل إسعاد الآخرين

وكما تبحث عن السعادة لنفسك فكن مسعدا لغيرك من ولد أو والد أو زوج أو أخ أو جار أو صاحب فكما تدين تدان.

وعن أبي هريرة قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»، أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ**

يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ»، أخرجه الطبراني (١٣٦٤٦).

ورسول الله ﷺ كان يسعى في إدخال السعادة على الجميع صغارا وكبارا ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَآهُ، قَالَ: «**أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ.

وما أخرجه مسلم عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْبِيَةً وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ: يَا بُنَيَّ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، قَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي، قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا، فَقَالَ: «**خَبَأْتُ هَذَا لَكَ**» قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**رَضِيَ مَخْرَمَةُ**»، أخرجه مسلم (١٠٥٨).

وفي الصحيحين عن عائشة قَالَتْ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ».

وغير ذلك كثير والله المستعان.

١) المسكن الواسع من أسباب السعادة.

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (المسكن الواسع).

وقد تقدم دليله.

فإن الإنسان يصلح شأنه مع المكان الواسع.

فهو يتسع لأبنائه، ولضيفه، ولنسائه، ولأقاربه، ولكل من يأتي عنده زائرًا، أو ضيفًا، أو غير ذلك.

فهو يتسع لشأنه، ولما يحتاج إليه من أمور دنياه، ودينه، وأخراه.

أما المسكن الضيق: فهو من أسباب الشقاوة، ويحصل لصاحبه الحرج.

فربما يتحرج ممن يقدم عليه، من أقاربه، أو من جيرانه، أو من ضيوفه، أو من غير ذلك.

٢) الزوجة الصالحة من أسباب السعادة.

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الزوجة الصالحة).

فالزوجة الصالحة لا تؤذيه، ولا تتعبه، ولا تنصبه، ولا تكلفه فوق طاقته.

والزوجة الصالحة تعينه على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وتعينه على تربية الأولاد في طاعة الله.

الزوجة الصالحة سبب لتربية الأولاد على الدين والصلاح، ولا سيما في غياب زوجها في العمل، أو في أسفاره، وما يحتاج إليه.

إن أمرها: أطاعته.

وإن غاب عنها: حفظته في ماله، وفي ولده، وفي بيته، وفي كل شؤون حياته.

وإن نظر إليها: سرته.

وقد سبق معنا بيان الدليل على ذلك.

بخلاف الزوجة السيئة: تؤذي زوجها، وتتعبه، وتتعنت عليه، وتكلفه فوق طاقته.

وهي: سبب من أسباب انحراف الأولاد عن التربية الصالحة.

وهي: سبب من أسباب خراب الأسرة، وضياع الأولاد، وذهاب البركة على الزوج في الزرق، وفي العمل، وفي كل ما يحتاج إليه.

٣) الجار الصالح من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**الجار الصالح**).

فالجار الصالح: لا يؤذيه، ولا يظلمه، ولا يعتدي عليه، ولا يأخذ حقه، ولا يأخذ أرضه، ولا ينغص عليه حياته.

فالإنسان يتأذى ويتعب وينصب ممن حوله، ومن الجيران.

لأن طريقه وطريقهم واحدة، ومدخله ومدخلهم واحد، وهو يراهم ويرونه في كل وقت وحين.

بخلاف الجار السيء: سبب من أسباب التعاسة، والشقاوة.

لأنه يؤذي، ويظلم، ويتعدى، وينغص حياة جاره.

٤) المركب الهنيء من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (المركب الهنيء).

فالمركب الهنيء من أسباب السعادة؛ لأنه يسهل عليه أمره، ويتنقل عليه حيث أراد من الأماكن.

بخلاف المركب السيء: يتعب صاحبه في أسفاره، وفي تنقلاته، وربما تعطل عليه في أماكن يصعب عليه أن يصلحه، وهكذا.

٥) الولدالصالح من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الولد الصالح).

فالولد الصالح من أسباب السعادة على الأبوين.

سواء كان من الذكور، أو من الإناث.

فالولد الصالح: لا يؤذي الوالدين، ولا يتعبهما في التربية، ولا يتسبب لهما بالأذية من الجيران، أو من الناس.

بل قد يكون سببًا في دخول الأبوين الجنة؛ حيث أنه قد يشفع لهما يوم القيامة.

كما جاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من طريق عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " **تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ** ".

قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "**تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ،**

وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ".

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: "اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا"» (١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٩٥٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت حديث رقم (٢٨٢٩).

٦) الصحة من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الصحة).

جاء في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عبد الله ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**».

(نعمتان) تثنية نعمة.

وهي: الحالة الحسنة.

وقيل: هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى غيره.

(مغبون) من الغبن وهو النقص.

وقيل: الغبن وهو ضعف الرأي.

(الصحة) في الأبدان.

(الفراغ) عدم ما يشغله من الأمور الدنيوية.

فالصحة من أسباب السعادة على العبد.

فهو يستطيع أن يذهب ويرجع متى شاء، سواء إلى الصلاة في المسجد، إلى صلة رحمه، أو إلى زيارة أقاربه، أو إلى أي عبادة من العبادات.

ويستطيع أن يذهب إلى عمله، أو إلى سفره، أو إلى ما يحتاج إليه من أمور دنياه، أو من أمور آخرته.

فلا يستطيع أن يقوم العبد بما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه من أمور العبادة، والطاعة، وحقوق الناس، وحقوق الوالدين، وحقوق الزوجة والأولاد، وحقوق الجيران، وحقوق الأقارب، إلا بالصحة والعافية.

فإذا انعدمت الصحة والعافية، تعطلت جميع مصالح العبد.

فالأمراض، والأسقام تسبب البؤس، والألم، والتعاسة، والهم، والغم، والكرب، والشدة على صاحبها.

ولذلك كانت الجنة دار صحة وعافية وتنعم، وتلذذ، لا منغصات فيها، ولا أمراض، ولا أسقام؛ لأنها تنافي النعيم والتلذذ بما خلق الله عَزَّوَجَلَّ لأهلها.

٧) الفراغ من أسباب السعادة

ومن أسباب السعادة أيضًا: الفراغ.

وقد ذكر في حديث عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا السابق ذكره معنا في الباب السابق.

بحيث يكون عنده تفرغ للعبادة، وللطاعات، ولما يقربه من الله عَزَّوَجَلَّ.

بخلاف الشغل لا يستطيع معه أن يقوم بما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه من حقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن حقوق العباد.

فالمتفرغ لا يتعبه شيء، ولا يشغله شيء عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، و عن عبادته.

وعن الحقوق الواجبة عليه بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، وبينه وبين والديه، وبينه وبين أقاربه، وجيرانه، ومن استرعاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرهم.

٨) الأمن من أسباب السعادة

ومن أسباب السعادة أيضًا: الأمن.

فالأمن: يسبب لصاحبه السعادة، والراحة، والطمأنينة، والهدوء، وصلاح البال والحال.

بخلاف الخوف: فإنه يسبب لصاحبه التعاسة، والشقاء، والنكد، والمرض، والتنغيص في الحياة.

جاء في السنن:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»** (١).

وَحِيزَتْ: "جُمِعَتْ".

(في سربه) **في النهاية**: يقال فلان آمن في سربه.

أي: في نفسه.

وفلان واسع السرب.

أي: رخي البال.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٤٦)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤١٤١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن".

ويروى بالفتح: وهو المسلك والطريق.

يقال: خل له سربه.

أي: طريقه.

(حيزت) **أي**: جمعت.

٩) المال الصالح من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**المال الصالح**).

لأن الفقر: يسبب التعب، والنصب، والشدة، على صاحبه.

فربما يمرض ما عنده ثمن الدواء.

وربما يحتاج إلى أكل، أو إلى شرب، وليس عنده مال لشراء ما يحتاج إليه من أمور دنياه.

وربما ما عنده قوت يومه الذي يعيشه.

والتي يتقوى بها على حياته، وعلى طاعته لله عَزَّوَجَلَّ.

وربما تكثر عليه الديون، التي تسبب لهم الغم، والهم، والحزن، ولا سيما إذا عجز عن سدادها، وحان أجلها.

فقله المال: سبب من أسباب التعاسة على صاحبها، ومن أسباب التعب والنصب في الحياة الدنيا.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

فالمال محبوب إلى النفس.

والمقصود بالمال هنا: هو المال الصالح، الذي صاحبه يكتسبه من أوجه الحل، وينفقه في الحلال.

كما جاء في السنن:

من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**» [(١)].

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُرَيْجٍ: هُوَ بَصْرِيٌّ، وَهُوَ مَوْلَى أَبِي بَرْزَةَ.

وَأَبُو بَرْزَةَ اسْمُهُ: نَضْلَةُ بْنُ عُبَيْدٍ ".

وجاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث عَبدالله ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**» [(٢)].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ قَيْسٍ.

وَحُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ: يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤١٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٩٤٦).

وجاء في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «"**خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي** " فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: " **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً** ". قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: " **يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**"» [(١)].

فهذه: أسباب سعادة، كما ما سبق ذكره معنا.

الأهل الصالحين، والولد الصالح، والأمن، والأمان، ووجود المال الكثير الطيب الحلال المبارك.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٧٦٣)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٣٧٥٦)، وقال: "صحيح". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٠٠٦)، وقال فيه: "هذا حديث صحيح".

الأمور القدرية قد يسعد بها المؤمن، وغير المؤمن

❀ **وهذه الأمور**: القدرية قد يسعد بها المؤمن، وغير المؤمن.

لكن الكافر أو المسلم الغير صالح، ربما يستخدم هذه الأموال في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، فيشرب الخمور والمسكرات، وربما وقع في الزنى.

وربما سافر إلى بلاد الكفر والشرك لممارسة الزنى، والعهر، وشرب المسكرات، وغير ذلك من المحرمات.

وربما يستخدم صحته في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

وربما يستخدم ماله في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

وربما يستخدم أمنه وأمانه في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

وربما يستخدم فراغه في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

فتنقلب هذه الأمور معه من سعادة إلى شقاوة، يحاسب عليها في الدنيا، وفي الآخرة.

وتنقلب من راحة إلى تعب ونصب ومرض، وهم، وغم، وحزن، وكرب، وكآبة، وغير ذلك.

فلذلك يجب على العبد أن يسعى في إصلاح نفسه مع هذه الأمور التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة، ويشترك فيها الجميع.

لكن لا بد أن تكون على مقتضى مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، وتكون على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

وإلا فقد قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ **في كتابه**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢].

بينما المؤمن: إذا أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ من هذه النعم، فإنه يسخرها في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فيسعد بها في الدنيا، وتكون سببًا في سعادته يوم القيامة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

بوب الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح مسلم فقال**: "**بَابُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا**".

ثم أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم** (٥٦) - (٢٨٠٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**».

(إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة) **معناه**: لا يترك مجازاته بشيء من حسناته.

والظلم يطلق: بمعنى النقص.

(أفضى إلى الآخرة) أي صار إليها.

وأخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم** (٥٧) – (٢٨٠٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثنا عاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثنَا قتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «**إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**».

هنيئًا لمن تحققت له السعادتان

فهنيئًا هنيئًا: لمن تحققت له السعادتان.

تحققت له: "سعادة الحياة الدنيا، وسعادة الحياة الآخرة".

وتحققت له: السعادة البدنية، والسعادة القلبية.

وإن لم تتحقق له السعادة البدنية، فالأهم هي سعادة الدين، وهذه هي السعادة المطلوبة، ولا علاقة لها بالمال، أو بأمور الدنيا.

وسعادة الدين هي السعادة التي تجر بصاحبها إلى السعادة الدائمة في الحياة البرزخية، ويوم القيامة، وفي الجنة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فهذه إشارات إلى أهم ما يكون في هذا الباب، وإلا فهو باب واسع إذا أراد المصنف أن يبين ما فيه لطال المقام، ولطال البحث عليه.

وكان جمع هذه المادة: في مدينة حديبو عاصمة جزيرة سقطرة، في يوم الثاني عشر من شهر ربيع الآخر لعام سبعة وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

والله المستعان، وعليه التكلان

سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

١) تحقيق الإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من أسباب السعادة

وتحقيق الإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: هو أول ركن من أصول الإيمان الستة التي تجلب لصاحبها السعادة في الدنيا والآخرة.

❀ **والإيمان بالله** سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ **يتضمن أربعة أمور**:

الأول: الإيمان بوجوده.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

الإيمان: بأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الإيمان: بأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۞٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الإيمان: بأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۞٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الإيمان: بأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

الإيمان بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ربًا، وبأسمائه وصفاته، وتحقيق هذا، وعدم التعرض لها بالتكييف، والتشبيه، والتمثيل، والتعطيل، والتحريف.

كما هو مذاهب أهل البدع والأهواء، فإنهم على أقسام:

الأول: الممثلة: الذين يمثلون الله بمخلوقاته تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

الثاني: المعطلة: الذين عطلوا الله من أسمائه وصفاته أو من بعضها، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

الثالث: المفوضة: الذين زعموا أن آيات الأسماء والصفات وأحاديثها غير معلومة المعنى، مع أنها كلام عربي مبين.

والمذهب الحق هم: أهل السنة والجماعة الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، وعلى منهج السلف الكرام من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

إذا حققنا الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربًا، ذقنا طعم الإيمان.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» (١).

وإذا: ذقنا طعم الإيمان، ذقنا السعادة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "**بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ**".

ثم أخرج في صحيحه برقم (١٦):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

والحديث: **أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم** (٤٣).

(وجد حلاوة الإيمان) انشرح صدره للإيمان، وتلذذ بالطاعة، وتحمل المشاق في الدين.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٤).

والحلاوة: في اللغة مصدر حلو يحلو وهي نقيض المرارة.

فالإيمان: له حلاوة، وله طعم، ولا يذوقهما إلا المؤمن المطيع لله عَزَّوَجَلَّ، والمتبع لسنة النبي ﷺ، فإذا ذاق قلب المؤمن حلاوة الإيمان، وطعم الإيمان؛ امتلئ قلبه السعادة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

٢) الإيمان بملائكة الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة.

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: الإيمان بملائكة الله عَزَّوَجَلَّ عليهم السلام.

والإيمان بملائكة الله عَزَّوَجَلَّ عليهم السلام يتضمن أمرين:

الأول: الإيمان المجمل.

وهو: أن نؤمن بملائكة الله عَزَّوَجَلَّ كلهم، إيمانًا مجملًا، وأنهم خلقوا من نور، وأنهم لا يعلم بعددهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١].

وبوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه فقال**: "بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ".

وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ، لِلنَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لَنَحْنُ الصَّافُّونَ المَلاَئِكَةُ».

(الصافون) من صف الأقدام في الصلاة يسبحون الله عَزَّوَجَلَّ؟

ثم أخرج في صحيحه برقم (٣٢٠٧):

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: في حديث المعراج، ثم قال: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»،... إلخ الحديث.

والحديث: **أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم** (١٦٤).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[(١)].

الثاني: الإيمان المفصل.

وهو: أن نؤمن بما ذكر لنا، وفصل لنا اسمه، أو وظيفته، اسمه في القرآن الكريم، وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ.

ونؤمن أيضًا: أن الملائكة عليهم السلام عباد مكرمون، لا يعصون الله عَزَّوَجَلَّ ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٦).

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومن أسباب السعادة: أن تعلم أن لله عَزَّوَجَلَّ ملائكة يسجدون، ويصلون، ويطيعون، ويعبدون الله عَزَّوَجَلَّ.

كما جاء في السنن:

من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ**»(١).

ونؤمن: أن هنالك ملائكة مكرمون يشهدون مجالس الذكر.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ**

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣١٢)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤١٩٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "حسن دون قوله والله لوددت فإنه مدرج".

بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(١)].

ونؤمن: أن هنالك ملائكة يحفظون العبد من بين يديه، ومن خلفه بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

ونؤمن: أن هنالك ملائكة: يكتبون ما يكون من أعمال العبد، من خير، ومن شر.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

فهذه سعادة حين أن تعلم أن شأن الله عَزَّوَجَلَّ عظيم، وأنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ خلق مخلوقات عظيمة، ومنها الملائكة عليهم السلام.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

وجاء في الصحيحين:

من طريق أَبي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم:٩- ١٠] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ «**رَأَى جِبْرِيلَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**»(١).

وفي رواية في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنه ﷺ: «**رَأَى جِبْرِيلَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**».

ومن السعادة: أن تعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ له خلق لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهم الملائكة عليهم السلام.

لأن الإنسان إما أن يتشبه بالملائكة عليهم السلام، ويكون عابدًا لله عَزَّ وَجَلَّ، ومقبلًا على طاعته عَزَّ وَجَلَّ، ولا يعصيه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ويكون مسابقًا ومسارعًا إلى مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإما إن يتشبه بالشياطين، ويكون من العصاة المتمردين.

فجعل الله عَزَّ وَجَلَّ: الإنسان بين هذين المخلوقين.

وهما مخلوق الملائكة: الكرام الطائعين لله عَزَّ وَجَلَّ.

ومخلوق الشياطين المتمردين عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، والمقيمين على معصيته.

فإذا كان الإنسان مقبلًا على الطاعة، كان إلى الملائكة أقرب.

وإذا كان الإنسان مقبلًا على المعصية، كان إلى الشياطين أقرب.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٤).

فالإيمان بالملائكة: من أسباب السعادة، من أسباب الراحة، من أسباب الطمأنينة.

يعني: إذا حضرت مجلس فيه ذكر لله عَزَّوَجَلَّ، تؤمن أن الملائكة عليهم السلام يحضرون معك في هذا المجلس.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٩).

ونؤمن: أن الملائكة يكونون في يوم الجمعة على أبواب المساجد يكتبون الأول فالأول، حتى يصعد الخطيب على المنبر.

كما جاء في سنن الإمام النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَكَتَبُوا مَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَتِ الْمَلَائِكَةُ الصُّحُفَ**».

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُهَجِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَالْمُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالْمُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَالْمُهْدِي شَاةً، ثُمَّ كَالْمُهْدِي بَطَّةً، ثُمَّ كَالْمُهْدِي دَجَاجَةً، ثُمَّ كَالْمُهْدِي بَيْضَةً**»(١).

ونؤمن: أن الملائكة يؤمنون على تأمين المصلين.

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». - وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "آمِينَ" »(٢).

ونؤمن: أن المصلي إذا قال: ربنا ولك الحمد، فإن الملائكة تقول مثل قوله، وإذا توافق قوله مع قول الملائكة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٨٥)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح".

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٨٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٤١٠).

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [1].

فالملائكة شأنهم عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، فمنهم الصافون، ومنهم المسبحون، وما منهم إلا له مقام معلوم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

ومنهم أصحاب الصفات العظيمة، كحملة العرش.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧].

وجاء في سنن الإمام أبي داود رَحِمَهُٱللَّهُ:

من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**» [2].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٩).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٢٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ برقم (١٥١). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ برقم (٢٤٨).

وجاء في مسند الإمام أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ؟ وَأَيْنَ تَكُونُ؟**»[(١)].

وجاء في مستدرك الإمام الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**"إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّث عَنْ دِيكٍ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحت الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: "سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ رَبَّنَا"، قَالَ: «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا**»[(٢)].

وأفضلهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، ولذلك كان رسول الله ﷺ يتوسل بربوبية الله لهم، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» أخرجه مسلم (٧٧٠).

وهذه إشارات، فالكلام عنهم يطول، وفي كتابي "اعرف عقيدتك" جملة من ذلك.

(١) أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده (٦٦١٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤٣٦)، وقال فيه: "هذا حديث صحيح".

(٢) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (٧٨١٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤٣٦).

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام).

والإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام على نوعين:

النوع الأول: إيمان مجمل.

وهو أن نؤمن بكل الأنبياء، وبكل الرسل، الذين أرسلهم الله عَزَّوَجَلَّ، سواء في ذلك ما علمنا منهم، وما لم نعلم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٤-١٦٥].

وقد جاء تعين عددهم: في السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

جاء في مستدرك الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وغيره**:

من حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ**» قَالَ: كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: «**عَشْرُ قُرُونٍ**» قَالَ: كَمْ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «**عَشْرُ قُرُونٍ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ كَانَتِ الرُّسُلُ؟ قَالَ: «**ثَلَاثَ مِائَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ جَمًّا غَفِيرًا**»[(١)].

(١) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (٣٠٣٩)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٢٦٦٨)، وقال فيه: وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٤٨٠).

النوع الثاني: الإيمان المفصل.

وهو: أن نؤمن بكل نبي، وبكل رسول، ذكر لنا اسمه في القرآن الكريم، وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ.

والذين ذكروا في القرآن الكريم: هم خمسة وعشرين.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾ [النساء: ١٦٣].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٩٠].

فالإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام: وأن الله عَزَّوَجَلَّ أرسلهم إلى أقوامهم، لتبليغ دينه، ولتبليغ شريعته.

ونؤمن بأن أفضلهم أولوا العزم من الرسل.

وهم خمسة:

الأول: نبينا محمد ﷺ.

الثاني: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الثالث: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الرابع: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الخامس: نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ذكروا في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره** (٧/ ٣٠٥):

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ **أَيْ**: عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ لَهُمْ.

وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي تَعْدَادِ أُولِي الْعَزْمِ عَلَى أَقْوَالٍ:

وَأَشْهَرُهَا أَنَّهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَدْ نَصَّ اللَّهُ عَلَى أَسْمَائِهِمْ: مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي آيَتَيْنِ مِنْ سُورَتَي "الْأَحْزَابِ" وَ "الشُّورَى".

وَقَدْ يُحْتَمَلُ: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِأُولِي الْعَزْمِ جَمِيعُ الرُّسُلِ.

وَتَكُونَ: ﴿مِنَ﴾ **فِي قَوْلِهِ**: ﴿ٱلرُّسُلِ﴾ لِبَيَانِ الْجِنْسِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

والمراد من الآيتين:

الأولى: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب: ٧-٨].

والثانية: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورى: ١٣].

ونؤمن: بأن خاتمهم محمد ﷺ، وأنه أفضل الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجمعين.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(١).

ويبوب عليه الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح مسلم**: "**بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا** ﷺ **عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ**".

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٧٨).

ولما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

وجاء في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ:

من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**»، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**لَكِنِ المُبَشِّرَاتُ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**رُؤْيَا المُسْلِمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ**»(٢).

فنؤمن: بما جاء به النبي ﷺ من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، وننقاد لذلك، ونعمل بهما.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

فإذا آمنا واتبعنا وصدقنا وانقدنا نلنا السعادة، فإن الكفار صاروا أشقياء لتكذيبهم للرسل وعدم عملهم وانقيادهم، ومن كذب بواحد منهم كذب بهم جميعًا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٧٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السنن، وقال: "صحيح الإسناد"، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٩٠).

الإيمان بالقدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**الإيمان بالقدر خيره وشره من الله** عَزَّوَجَلَّ).

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فالإيمان بالقدر: سبب لأن يطمئن قلب المؤمن، وتسكن جوارحه، وتهدئ نفسه، ويرتاح روحه، ويصلح حاله ومآله.

فالإيمان بالقدر: سبب من أسباب السعادة التي يتحصل عليها الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

فمن آمن: بالقضاء والقدر من الله عَزَّوَجَلَّ، سعد في هذه الحياة الدنيا.

وحاله بين أمرين:

إما أن الله عَزَّوَجَلَّ: يبتليه بالمرض، أو بالفقر، أو بالشدة، أو بالخوف، أو بغير ذلك من أنواع البلايا، فيصبر على ذلك، ويسلم، ويرضى، ويشكر، ويكون له بالصبر على ذلك: الأجر والثواب العظيم من الله عَزَّوَجَلَّ.

وإما أن الله عَزَّوَجَلَّ: يبتليه بالصحة، وبالعافية، وبالغنى، وبالأمن، والنعم الظاهرة والباطنة، فيشكر الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك، ويكون له بالشكر الأجر والثواب العظيم من الله عَزَّوَجَلَّ.

فالمؤمن: حاله طيب في الأمرين:

إن أصابته سراء: شكر فكان خير له عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإن أصابته ضراء: صبر؛ فكان خيرًا له عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد تقدم شيء من ذلك، فلا داعي للتكرار، والله أعلم.

الإيمان باليوم الآخر من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الإيمان باليوم الآخر).

الإيمان باليوم الآخر: من أعظم أسباب السعادة.

وهو أن تؤمن: أن الله عَزَّوَجَلَّ يكرم المؤمنين بالجنة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤].

وتؤمن: أن الله عَزَّوَجَلَّ يرى يوم القيامة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

ولغيرها من الآيات التي تدل على رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة.

ولما جاء في الصحيحين:

من حديث عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**

وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لَا تَفُوتَنَّكُمْ»(١).

(لا تضامون) لا ينالكم ضيم.

أي: تعب أو ظلم.

(لا تغلبوا) بأن تستعدوا لقطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة من نوم أو شغل.

(قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أي صلاتي الفجر والعصر.

(وسبح بحمد ربك) نزهه عن كل نقص وعظمه بالعبادة.

ولما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٣).

مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ،

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: "شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا

الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا "، قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ» قُلْنَا: لَا، وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: «لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ"، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ، فَيَقُولُونَ: "رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وَمَا بَعْدَهُ "، فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ"(١).

وجاء في الصحيحين أيضًا:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٥٨١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٣).

فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ " قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ

ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ".

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»[(١)].

ونؤمن: بالشفاعة.

ونؤمن: بالحوض على رجاء الشرب منه.

ونؤمن: بالمرور على الصراط إذ أنه على قدر الأعمال.

ونؤمن: بالميزان إذ تثقل موازين أهل الإسلام.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

ونؤمن: بما في القبر من نعيم للمؤمنين، وما فيه من العذاب للكافرين والمشركين، وما فيه من التخوف على عصاة المؤمنين من العذاب إلا أنه لا يستمر إلى يوم القيامة، وقد تقدم هذا كله، ولله الحمد والمنة.

فالإيمان: باليوم الآخر، من أسباب السعادة.

فمهما: ظلمت سيرفع عنك الظلم.

ومهما: نقص عليك من الخير ستجد من الخير إما في الدنيا، وإما في الدنيا، وفي الآخرة في جنة الله عَزَّوَجَلَّ ما الله به عليم.

جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**»(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا** " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]"(٢).

ولهذا كانت الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٣٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٣٧).

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١).

(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر):

معناه: أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة.

فإذا مات: استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من المنغصات.

وأما الكافر: فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات.

فإذا مات: صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد.

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «**العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ، العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ**»(٢).

(نصب الدنيا): تعبها ومشاقها وما فيها من عناء.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٥٠).

الإيمان بالكتب السماوية من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (الإيمان بالكتب السماوية).

وهي التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

والإيمان بالكتب السماوية على قسمين:

الأول: إيمان مجمل.

فنؤمن: بكل الكتب المنزلة من عند الله عَزَّوَجَلَّ على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ما علمنا منها، وما لم نعلم.

وهي كتب كثيرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾.

الثاني: إيمان مفصل.

فنؤمن: بما ذكر لنا من الكتب السماوية في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

وأولها: القرآن الكريم.

أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على عبده ونبيه محمد ﷺ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ١-٥].

والآيات: في هذا الصدد كثيرة، وهو ناسخ ومهيمن على غيره من الكتب.

الثاني: التوراة.

أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ على عبده ونبيه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وهي أعظم كتب بني إسرائيل.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وجاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ، فَقَالَ: «**هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ**» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»، **فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا"[1].

(محمما) **أي**: مسود الوجه من الحممة الفحمة.

الثالث: صحف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ على عبده ونبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩].

الرابع: صحف موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩].

الخامس: الزبور.

أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على عبده ونبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٠٠).

السادس: **الإنجيل**.

أنزله: الله عَزَّوَجَلَّ على عبده ونبيه عيسى بن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وهو: مصدق للتوراة، ومتمم لها.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ونؤمن: بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتابا.

لقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾.

ونؤمن: بأن كل الكتب السماوية حرفت وبدلت وغيرت، وما بقي منها من حق فقد نسخ بالقرآن الكريم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٤٨﴾ [المائدة: ٤٨].

وليس المراد التصديق المجرد، ولكن التصديق مع العمل، والعمل يكون بالقرآن، أما غيره فقد غير وبدل ونسخ، لكن القرآن هو الكتاب المحفوظ، والله الموفق.

تحقيق أصول الإيمان الستة من أسباب السعادة

فعلم أن من أسباب السعادة: تحقق أصول الإيمان الستة.

فمن حقق أصول الإيمان الستة: نال السعادة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلينا: أن نحققها، لأنه قد خالفها أغلب الطوائف من أهل البدع والأهواء والمحدثات.

فأغلب أهل الأرض يخالفون في هذه الأصول الستة.

حتى أن هنالك طوائف من أهل الإسلام يخالفون الحق في هذه الأصول الستة، التي هي أركان الإيمان الستة، والتي لا يتم الإيمان إلا بها.

فمنهم: من يخالف في باب الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم: من يعطل في باب الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم: من يحرف في باب الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم: من يكيف في باب الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم: من يشبه ويمثل في باب الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم: من ينفي أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنى، وصفاتها العلى كلها، كالجهمية.

ومنهم: من لا يؤمن باليوم الآخر كما أراد الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم، وكما أراد النبي ﷺ في السنة الثابتة عنه.

فالحوثي الآن لا يؤمن هو، ولا أتباعه، لا بالحوض، ولا بالصراط، ولا بالميزان، ولا بالشفاعة لأهل الكبائر، ولا برؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، ولا بعذاب القبر.

بل لا يؤمنون بشيء مما دلت عليه الأدلة مما في اليوم الآخر.

وينكرون عذاب القبر للكافرين والمشركين، ولمن شاء الله عَزَّوَجَلَّ من عصاة المؤمنين.

وينكرون نعيم القبر، وفتنة القبر، وضمة القبر، وكثير من هذه الأشياء التي دلت عليه الأدلة المتكاثرة من القرآن الكريم، ومن السنة الثابتة عن النبي ﷺ.

فينبغي للمسلم أن يصحح عقيدته.

ونقول: نؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ، على مراد الله عَزَّوَجَلَّ، ونؤمن بالنبي ﷺ، وبما جاء عن النبي ﷺ فيما ثبت عنه، على مراد النبي ﷺ.

من أراد السعادة، والعزة، والرفعة، والتمكين في الأرض، فعليه أن يصحح عقيدته، وتوحيده لله عَزَّوَجَلَّ.

بل إن الأعمال والعبادات، والطاعات، والقربات: من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، وعمرة، وبر، وصلة، وقيام، وقراءة قرآن؛ لا تقبل منا إلا مع صلاح العقيدة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

تحقيق أركان الإسلام الخمسة من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (**تحقيق أركان الإسلام الخمسة**).

وهي خمسة أركان:

الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

الثاني: إقام الصلاة.

الثالث: إيتاء الزكاة.

الرابع: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

الخامس: صيام رمضان.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فقال: "**بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»**".

ثم أخرج في صحيحه برقم (٨):

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.

والحديث: أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦).

(بني الإسلام على خمس) أعمال الإسلام خمس، هي له كالدعائم بالنسبة للبناء، لا وجود له إلا بها.

فإنما تقوم على الوجه الذي يرضي الله عَزَّوَجَلَّ عن عبده، إلا إذا كانت على عقيدة صحيحة.

❀ بيان شروط قبول العمل:

فشروط قبول العلم:

الأول: أن يكون صاحبه مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: أن يكون صاحبه متبعًا لسنة النبي ﷺ.

وهذا: بعد الإسلام والإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧].

والتقوى: لا يتم لعبد إلا بعد الإسلام، والإخلاص، والمتابعة لسنة النبي ﷺ.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

تحقيق ركن الإحسان من أسباب السعادة

❀ **ومن أسباب السعادة أيضًا**: (تحقيق ركن الإحسان).

وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك.

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "**مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ المَرْأَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الحُفَاةُ العُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: «**رُدُّوا عَلَيَّ**» فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ**»[(١)].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٩).

بيان أقسام الإحسان:

والإحسان ينقسم إلى قسمين:

الأول: الإحسان للخالق.

وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فهو يراك.

الثاني: الإحسان إلى الخلق.

وهو: ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

وهذا: كله لا يتأتى لصاحبه إلا بصلاح العقيدة.

حيث أنك تراقب الله عَزَّوَجَلَّ في سرك وفي جهرك، وفي ليلك وفي نهارك، وفي سفرك وفي حضرك، وفي خلوتك وفي جلوتك، وفي جميع شأنك.

فإذا حققت هذه المراتب الثلاث للدين الإسلام:

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام.

المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان.

المرتبة الثالثة: مرتبة الإحسان.

فإنك ستسعد في دنياك، وستسعد في أخراك، وسينالك من الله عَزَّوَجَلَّ المكرمات، وعظيم الهبات.

وستجد في قلبك في الدنيا، ومن جوارحك، من السعادة العظيمة، ومن حب الانقياد، ما الله عَزَّوَجَلَّ به عليم.

وستجد عند مفارقة الروح الجسد، ما قد وعدك الله عَزَّوَجَلَّ به من الخير العظيم، والجزاء الجزيل.

وهكذا ستجد في أخراك من السعادة، ومن الخير العظيم، ومن الثواب الجزيل، ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلينا يا عباد الله عَزَّوَجَلَّ أن نسعى في تحقيق السعادة لأنفسنا، في دنيانا، وفي أخرانا، وذلك بطاعتنا لربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وبمتابعتنا لسنة نبينا ﷺ، وبالسير على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وأن نحرص كل الحرص على ملازمة كل فضيلة، والبعد عن كل رذيلة.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ **شرع لنا**: ما به صلاح الدنيا، والآخرة.

وحذرنا من أسباب فساد الدنيا، والآخرة.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه، أن يتوفنا وإياكم مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

السعادة من كلام الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٧-١٠٨):**

أنواع السَّعَادَة الَّتِي تؤثرها النُّفُوس ثَلَاثَة:

سَعَادَة خارجية: عَن ذَات الإنسان، بل هِيَ مستعارة لَهُ من غَيره يَزُول باسترداد الْعَارِية.

وَهِي سَعَادَة المَال والحياة.

فَبينا المُرْء: بهَا سعيدا ملحوظا بالعناية مرموقا بالأبصار، إِذا أصبح فِي الْيَوْم الْوَاحِد، أذل من وتد بقاع يشج رَأسه بالفهرواجي.

فالسعادة والفرح: بِهَذِهِ كفرح الأقرع بحمة ابْن عَمه، وَالْجمال بهَا كجمال الْمَرْء بثيابه وبزينته، فاذا جَاوز بَصرك كسوته فَلَيْسَ وَرَاء عبادان قَرْيَة.

ويحكى عَن بعض الْعلمَاء: أنه ركب مَعَ تجار فِي مركب فَانْكَسَرت بهم السَّفِينَة، فأصبحوا بعد عز الْغنى فِي ذل الْفقر، وَوصل الْعَالم إِلَى الْبَلَد فأكرم، وَقصد بأنواع التحف والكرامات.

فَلَمَّا: أرادوا الرُّجُوع إِلَى بِلَادهمْ، قَالُوا لَهُ: هَل لَك إِلَى قَوْمك كتاب أَوْ حَاجَة؟، فَقَالَ نعم، تَقولُونَ لَهُم إذا اتخدتم مَالا لَا يغرق اذا انْكَسَرت السَّفِينَة، فاتخذوا الْعلم تِجَارَة.

وَاجْتمعَ: رجل ذُو هَيْئَة حَسَنَة، ولباس جميل، ورواء بِرَجُل عَالم، فجس المخاضة فَلم ير شَيْئا، فَقَالُوا كَيفَ رأيته؟ فَقَالَ: رَأَيْت دَارا حَسَنَة مزخرفة وَلَكِن لَيْسَ بهَا سَاكن.

السَّعَادَة الثَّانِيَة: سَعَادَة فِي جِسْمه وبدنه.

كصحته، واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه، وَحسن تركيبه، وصفاء لَونه، وَقُوَّة أعضائه.

فَهَذِهِ ألصق بِهِ من الأولى.

وَلَكِن هِيَ فِي الْحَقِيقَة: خَارِجَة عَن ذَاته وَحَقِيقَته.

فأن الْإِنْسَان: إنسان بِرُوحِهِ وَقَلبه لَا بجسمه وبدنه.

كَمَا قيل:

يَا خَادِم الْجِسْم كم يشقى بخدمته فَأَنت بِالروحِ لَا بالجسم إِنْسَان

فنسبة هَذِه: إِلَى روحه وَقَلبه، كنسبة ثِيَابه ولباسه إِلَى بدنه.

فإن الْبدن أيضًا: عَارِية للروح، وَآلَة لَهَا، ومركب من مراكبها.

فسعادتها: بِصِحَّتِهِ وجماله وحسنة سَعَادَة خَارِجَة عَن ذَاتهَا.

وحقيقتها السَّعَادَة الثَّالِثَة: هِيَ السَّعَادَة الْحَقِيقِيَّة، وَهِي سَعَادَة نفسانية روحية قلبية.

وَهِي: سَعَادَة الْعلم النافع ثَمَرَته.

فإنها: هِيَ الْبَاقِيَة على تقلب الأحوال والمصاحبة للْعَبد فِي جَمِيع أسفاره.

وَفِي دوره الثَّلَاثَة: أعني دَار الدُّنْيَا، وَدَار البرزخ، وَدَار الْقَرار.

وَبهَا: يترقى معارج الْفضل ودرجات الْكَمَال.

أما الأولى: فإنها تصحبه فِي الْبقْعَة الَّتِي فِيهَا مَاله وجاهه.

وَالثَّانية: تعرضه للزوال والتبدل بنكس الْخلق وَالرَّدّ إلى الضعْف.

فَلَا سَعَادَة: فِي الْحَقِيقَة إلا فِي هَذِه الثَّالِثَة، الَّتِي كلما طَال الأمد ازدادت قُوَّة وعلوا، وَإِذا عدم المَال والجاه فَهِيَ مَال العَبْد وجاهه.

وَتظهر: قوتها وأثرها بعد مُفَارقَة الرّوح الْبدن، إذا انْقَطَعت السعادتان الأوليتان، وَهَذِه السَّعَادَة لَا يعرف قدرهَا وَيبْعَث على طلبَهَا إلا الْعلم بهَا.

فَعَادَت السَّعَادَة كلهَا: إلى الْعلم، وَمَا تقضيه، وَالله يوفق من يَشَاء، لَا مَانع لما أعطى، وَلَا معطى لما منع. اهـ

بيان مصير السعداء في الدنيا، وفي الآخرة

ذكرت بعض أسباب السعادة، وهنا أتكلم عن مصير السعداء، وعظيم شأنهم.

سواء كان ذلك في الدنيا، وما يلحقهم من انشراح الصدور، وطمأنينة القلوب، وسكون الأرواح، وهدوء البال، وصلاح الحال والمآل، وصلاح الذريات، والسلامة من الآفات، ودفاع الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين والمؤمنات، إلى غير ذلك.

ثم تكون مبدأ السعادة العظيمة عند الموت، حيث تتلاقهم ملائكة كرام حيث ترفع أرواحهم إلى حيث شاء الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الواقعة:٨٦-٩٦].

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا**، "، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ**

السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِس عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ".

قَالَ: " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ".

قَالَ: " فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ".

قَالَ: " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ".

قَالَ: " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ".

قَالَ: "وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي..." (١).

ثم بعد ذلك ينتقل إلى سعادة الآخرة التي لا تدانيها ولا تقاربها سعادة.

بدءًا: بالشرب من حوض النبي ﷺ الذي قال عنه رسول الله ﷺ: (من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً)، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ». أخرجه الترمذي (٣٣٦١).

ثم بشفاعة النبي ﷺ، فيسلمون من أهوال عظيمات.

ويظله الله عَزَّوَجَلَّ: تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ". متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الجامع برقم (١٦٧٦)، وقال: "صحيح" [حم د ابن خزيمة ك هب الضياء] عن البراء. الجنائز (١٥٥١)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٥٥٨)، وقال فيه: "صحيح". وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤١)، وقال فيه:.

ثم تثقل موازينه، وترفع درجاته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾.

ثم يأخذ كتابه بيمينه: كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [سورة الحاقة:١٩-٢٤].

ثم يسعد بمروره على الصراط، كما قال رسول الله ﷺ: (فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا "، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا. متفق عليه

ثم يسعد بدخوله الجنة العالية، التي قطوفها دانية، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وتكون لهم البشارة العظيمة بالسعادة العظيمة الدائمة في الجنة، التي لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تتحول، بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

ويؤتى بالموت: على صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار.

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]** "(١).

فيستبشر أهل الجنة البشارة العظيمة، بالبقاء الأبدي، وبالخلود الأبدي، في جنة الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم يسعدون السعادة العظيمة بحلول رضوان الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٤٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٢٩).

ثم يسعدون السعادة العظيمة التي لا توصف بالنظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

كما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حديث صُهَيْبٍ بن سنان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ»(١).

وهذه هي أعظم سعادة ينالها أهل الإيمان والتقوى في جنة الله عَزَّوَجَلَّ، والسعادة بها فوق سعادتهم بالدخول إلى جنة الله عَزَّوَجَلَّ.

فإذًا: أصحاب السعادة: الإيمانية في هذه الدنيا، تنتقل معهم السعادة إلى قبورهم، ثم إلى آخرتهم.

غفر الله لنا ولكم، ولوالدينا، ولوالديكم، وجعلنا الله عَزَّوَجَلَّ وإياكم بمنه، وبفضله، وبجوده، وبإحسانه، من السعداء، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨١).

السعادة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإخنائية (ص١٣٠):

وكل من اشتغل بما أمر الله به من طاعته شغله ذلك عما نهى عنه من البدع المتعلقة بقبره وقبر غيره.

ومن اشتغل بالبدع المنهيّ عنها، ترك ما أمر به الرسول ﷺ من حقه، فطاعته هي مناط السعادة والنجاة. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإخنائية (ص١٦٠):

فإن طاعته هي مدار السعادة، وهي الفارقة بين أولياء الله وأعدائه، وأهل الجنة وأهل النار.

فأهل طاعته هم أولياء الله المتقون، وجنده المفلحون، وحزبه الغالبون.

وأهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصفدية (٢/ ٢٤٨):

فالسعادة: مشروطة بشرطين: بالإيمان، والعمل الصالح.

بعلم نافع وعمل صالح، بكلم طيب وعمل صالح، وكلاهما مشروط بأن يكون على موافقة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

كما قال أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فاقشعر جلده من خشية الله، إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجر، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله**

خاليا ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدا، وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير عن اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت اجتهادا أو اقتصادا على منهاج الأنبياء وسننهم". اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في التائية** (ص٢٠٤-٢٠٥):

وأمرُ إله الخلـــــــق بيَّن مـا بــه		يسوق أولي التنعيم نحو السعـــادةِ
فمن كان من أهل السعـادة أثَّـرت		أوامرُه فيه بتيسير صنعــــــــــــةِ
ومن كان من أهل الشقاوة لم يُبَلْ		بأمر ولا نهي بتيسير شقـــــــــوةِ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في أمراض القلوب** (ص١٢):

وَالْقُرْآن: حق فَلَو حصل لَك مِنْهُم الْهدى إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقيم فِيمَا اخْتلفُوا فِيهِ لم يَخْتَلِفُوا.

ثمَّ الَّذين: علمُوا مَا أَمر الله بِهِ، أَكْثَرهم يعصونه، وَلَا يحتذون حذوه فَلَو هُدُوا إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقيم فِي تِلْكَ الْأَعمال، لفعلوا مَا أمروا بِهِ وَتركُوا مَا نهوا عَنهُ.

وَالَّذين: هدَاهُم الله من هَذِه الْأمة حَتَّى صَارُوا من أَوْلِيَاء الله الْمُتَّقِينَ.

كَانَ من أعظم: أَسبَاب ذَلِك دعاؤهم الله بِهَذَا الدُّعَاء فِي كل صَلَاة، مَعَ علمهمْ بحاجتهم وفاقتهم إِلَى الله دَائِما، فِي أَن يهْدِيهم الصِّرَاط الْمُسْتَقيم.

فبدوام: هَذَا الدُّعَاء والافتقار صَارُوا من أَوْلِيَاء الله الْمُتَّقِينَ.

قَالَ سهل بن عبد الله التسترِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ بَين العَبْد وَبَين ربه طَرِيق أقرب إِلَيْهِ من الافتقار.

وَمَا حصل: فِيهِ الْهدى فِي الْمَاضِي؛ فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى حُصُول الْهدى فِيهِ فِي الْمُسْتَقْبل.

وَهَذَا: حَقِيقَة قَول من يَقُول: "ثبتنا واهدنا لُزُوم الصِّرَاط".

وَقَول من قَالَ: "زِدْنَا هدى".

يتَنَاوَل: مَا تقدم، لَكِن هَذَا كُله هدى مِنْهُ فِي الْمُسْتَقْبل إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقيم، فَإِن الْعَمَل فِي الْمُسْتَقْبل بِالْعلمِ لم يحصل بعد وَلَا يكون مهتديا حَتَّى يعْمل فِي الْمُسْتَقْبل بِالْعلمِ.

وَقد لَا يحصل: الْعلم فِي الْمُسْتَقْبل، بل يَزُول عَن الْقلب.

وَإِن حصل: فقد لَا يحصل الْعَمَل فَالنَّاس كلهم مضطرون إِلَى هَذَا الدُّعَاء.

وَلِهَذَا فَرْضه: الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِم فِي كل صَلَاة.

فليسوا: إِلَى شَيْء من الدُّعَاء أحْوج مِنْهُم إِلَيْهِ، وَإِذا حصل الْهدى إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقيم حصل النَّصْر والرزق وَسَائِر مَا تطلب النُّفُوس من السَّعَادَة، وَالله أعلم. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النبوات (١/ ٥٠٧):

والإيمان: بالنبوة أصل النجاة والسعادة.

فمن: لم يُحقّق هذا الباب، اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يُميّز بين الخطأ والصواب". اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النبوات (١/ ١٥٣):

وقد علق السعادة: بالإيمان والتقوى في عدّة مواضع.

كقوله لمّا ذكر السّحرة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

وقوله عن يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة يوسف:٥٦-٥٧].

وقوله في قصة صالح: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨].

وهذه طريقة: الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح رحمهم الله تعالى. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع المسائل (١/ ١٣٢):

فلا يكون من أهل السعادة: إلاّ من فقّهه في الدين.

والدين يتناول كلَّ ما جاء به الرسول.

كما في الصحيحين:

لمّا جاء جبريل في صورة أعرابي، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال: «**هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم**»، فجعل هذا كلَّه دينًا. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستقامة (١/ ١٧٥-١٧٦):

وَفِي السّنَن: عَن ابْن أبي خزامة عَن أَبِيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قلت يَا رَسُول الله أَرَأَيْت رقى نسترقيها ودواء نتداوى بِهِ وتقاة نتقيها هَل ترد من قدر الله شَيْئا قَالَ: «هِيَ من قدر الله».

فَهَذِهِ السّنَن وَغَيرهَا: تبين أَن الله سُبْحَانَهُ وَإِن كَانَ قد تقدم علمه وكتابته وَكَلَامه بِمَا سَيكون من السَّعَادَة والشقاوة.

فمما قدره: أَن يكون ذَلِك بالأسباب الَّتِي قدرهَا.

فالسعادة: بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَة.

والشقاوة: بِالْفُجُورِ.

وَكَذَلِكَ: الشِّفَاء الَّذِي يقدره للْمَرِيض يقدره بالأدوية والرقى وَكَذَلِكَ سَائِر مَا يقدر من أَمر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

فَقَوْل الْقَائِل: كَيفَ تستجلب الْأَقْسَام بالحركات؟

جَوَابه: أَن الْأَقْسَام تناولت الحركات كَمَا تناولت السعادات، وَالله تَعَالَى قدر أَن يكون هَذَا بِهَذَا، فَإِذا ترك العَبْد الْعَمَل ظَانًّا أَن السَّعَادَة تحصل لَهُ، كَانَ هَذَا التّرْك سَببا لكَونه من أهل الشقاوة. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستقامة (١/ ٤٦٧-٤٦٨):

وَلِهَذَا فرق الله سُبْحَانَهُ بَين أهل السَّعَادَة وَأهل الشقاوة بذلك.

فَقَالَ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[الزمر ٣٢ - ٣٥]. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** (٥/ ١٣٤):

فَإِنَّ النَّظَرَ فِي أَمْرِ مَنْ قَالَ: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

مُقَدَّمٌ: عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

إِذْ كَانَ التَّصْدِيقُ بِهَذَا: مُسْتَلْزِمًا لِغَايَةِ السَّعَادَةِ.

وَالتَّكْذِيبُ بِهِ: مُقْتَضِيًا لِغَايَةِ الشَّقَاوَةِ.

فَبِالرَّسُولِ ﷺ: يَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الحسنة والسيئة** (ص٦٥-٦٧): والله سبحانه قد تفضل على بنى آدم بأمرين، هما أصل السعادة:

أحدهما: أن كل مولود يولد على الفطرة.

كما في الصحيحين:

عن النبي ﷺ **أنه قال**: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جَمْعَاء، هل تحسون فيها من جَدْعاء؟ "، ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اقرؤوا إن شئتم ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

وفي صحيح مسلم:

عن عياض بن حمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا**».

فالنفس: بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، محبة له، تعبده لا تشرك به شيئًا.

ولكن يفسدها: ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٣].

وتفسير هذه الآية: مبسوط في غير هذا الموضع.

الثاني: **أن الله تعالى قد هدى الناس هداية عامة.**

بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل.

قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن: ١-٤].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠].

ففي كل أحد ما يقتضى معرفته بالحق ومحبته له، وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة.

وجعل في فطرته: محبة لذلك، لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب علم ما ينفعه.

وكونه: لا يطلب ذلك، ولا يريده، أمر عدمي، لا يضاف إلى الله تعالى فلا يضاف إلى الله لا عدم علمه بالحق، ولا عدم إرادته للخير.

لكن النفس كما تقدم الإرادة والحركة من لوازمها، فإنها حية حياة طبيعية.

لكن سعادتها ونجاتها إنما تتحقق بأن تحيا الحياة النافعة الكاملة، وكان ما لها من الحياة الطبيعية موجباً لعذابها، فلا هي حية متنعمة بالحياة، ولا هي ميتة مستريحة من العذاب.

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [سورة الأعلى: ٩-١٣].

فالجزاء من جنس العمل، لما كان في الدنيا ليس بحي الحياة النافعة التي خلق لأجلها، بل كانت حياته من جنس حياة البهائم، ولم يكن ميتا عديم الإحساس، كان في الآخرة كذلك.

فإن مقصود الحياة: هو حصول ما ينتفع به الحي ويستلذ به.

والحي: لا بد له من لذة أو ألم، فإذا لم تحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة؛ فإن الألم ليس مقصوداً.

كمن هو حي: في الدنيا، وبه أمراض عظيمة لا تدعه يتنعم بشيء مما يتنعم به الأحياء، فهذا يبقى طول حياته يختار الموت، ولا يحصل له. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحسنة والسيئة (ص١٠٢):

فتبين: أن الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهذيب والتنقية من بقايا الذنوب، فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط؟

وأيضاً: فإذا كان سببها ثابتاً فالجزاء كذلك، بخلاف الحسنة، فإنها من إنعام الحي القيوم الباقي، الأول الآخر، فسببها دائم، فيدوم بدوامه.

وإذا علم الإنسان: أن السيئة من نفسه، لم يطمع في السعادة التامة، مع ما فيه من الشر.

بل علم تحقيق قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وعلم: أن الرب عليم حليم، رحيم عدل، وأن أفعاله جارية على قانون العدل والإحسان، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل.

وفي الصحيحين:

عن النبي ﷺ أنه قال: «**يمين الله ملأى، لا يَغِيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه، والقِسْط بيده الأخرى يخفض ويرفع**». اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الشاذلي (ص٧٥-٧٦):

والله تعالى: يعلمُ الأشياءَ على ما هي عليه ويُخبر بها كذلك ويكتبها كذلك.

كما ثبت في الصحيح:

عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما مِنْكُم من أحدٍ إلاَّ وقد عُلِم مقعدُهُ من الجنة والنَّار قالوا أفلا ندَعُ العملَ ونتَّكلُ على الكتاب فقال لا اعْمَلُوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِق لهُ، أمَّا مَنْ كان مِنْ أهل السعادة فسَيُيَسَّرُ لعمل أهْل السَّعادة وأمَّا من كان من أهْلِ الشَّقاء فسَيُيَسَّرُ لعمل أهل الشقاء**».

فلمَّا استأذنوه: أن يتَّكِلوا على السابقة، نهاهم وأخبرهم أن السابقة سبقت بالسعادة بعملها، والشقاوة بعملها، لم يَسْبِق بسعادةٍ مجرَّدَةٍ، وشقاوةٍ مجرَّدَةٍ.

فمن ييسره الله: لعمل أهل السعادة حتى يموت على ذلك كان هو الذي سبقت له السعادة، وبالعكس. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الشاذلي (ص٢٠٢-٢٠٣):

وأصل دين الإسلام: أن يُعْبَد الله وحده لا شريك له.

وهؤلاء الفلاسفة: لا يوجبون عبادة الله، ولا يحرِّمون عبادة ما سواه.

فهم: خارجون عن الإسلام العام الذي لا يَسْعَد أحدٌ إلا به، ولا يقبل الله دينًا سواه.

فهذا أصلٌ: يجب معرفته، وأنه في كل زمان ومكان إنما تَحْصُل السعادة بعد الموت، بالإيمان والإسلام، لكن شرع بعض الشرائع تحت شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما حصول السعادة: بمجرد ما يدَّعيه هؤلاء من العلم، أو العلم والأخلاق؛ فهذا باطلٌ معلوم الفساد مع أنه ليس لهم عليه دليل صحيح.

ولمَّا كان أصل هؤلاء: أن العبادات والأخلاق إنما هي وسائل إلى مجرد العلم.

كان المصنفون: على طريقهم في الفلسفة كابن سينا والرازي في المباحث المشرقية وغيرها يجعلون الكلام في الأخلاق والسياسات المنزلية والبدنية تنتظمُ الكلامَ في الشرائع الإلهية التي جاءت بها الأنبياء كمباني الإسلام الخمس من الصلاة والزكاة والصيام والحج فيجعلون هذه وأمثالها تتعلق بعلوم الأخلاق والسياسات.

ومقصود ذلك: إما سياسة الأخلاق وإما سياسة العالم للعدل في الدنيا ودفع ظلم بعضهم عن بعض لا لأن ذلك يوجب السعادة في الآخرة ولا جزء من الموجب للسعادة ولا هو بنفسه كمالٌ للنفس بل هو متعة للنفس ووسيلة لها إلى إكمالها.

ولهذا في كلام أبي حامد صاحب الإحياء: ما يميل إلى هذا كجعله منفعة علم الفقه في الدنيا فقط وكما يذكره من أن مقصود علوم المعاملات تصفية النفس فيحصل لها علم المكاشفة. اهـ

سعادة العصاة

❀ **قد يسعد العاصي بشيء من الحال الذي هو عليها.**

فيسعد الكافر بكفره.

والمبتدع ببدعته.

والزاني بزناه.

والسارق بسرقته.

والظالم بظلمه.

والفاجر بفجوره.

لكنها سعادة زائلة وقد تتحول إلى نقمة ومحنة في الدنيا فضلا عما ينتظرهم في قبورهم وآخرتهم سعادة تلحقها شقاوة لا سيما في حق الكافرين ومن شاء الله من عصاة المسلمين، سعدوا بنومهم وسكرهم وبخلهم ولكن كما قال الله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧﴾[سُورَةُ المُدَّثِّرِ: ٤٢-٤٧] وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ١٢]

سعدوا بأذية المسلمين وبعدها الخزي المبين قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ

ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المُطَفِّفِين: ٢٩-٣٤].

سعدوا بجمالهم الظاهر ولكنه يتحول إلى حال سيء كما قال الله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [سُورَةُ عَبَسَ: ٣٣-٤٢]

فرحوا بأموالهم ولكن كما قال الله تعالى ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[سُورَةُ اللَّيۡلِ: ١١]

فرحوا بمعاصيهم ولكن تأمل حالهم في قبورهم، فعن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم من رؤيا**» قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى**» قال: " **قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟** " قال: " **قالا لي: انطلق انطلق** " قال: " **فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه**، - قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق - " قال: «**ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب**

حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى» قال: " قلت: سبحان الله ما هذان؟ " قال: " قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور - قال: فأحسب أنه كان يقول - فإذا فيه لغط وأصوات " قال: «فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا» قال: " قلت لهما: ما هؤلاء؟ " قال: " قالا لي: انطلق انطلق ".

قال: «فانطلقنا، فأتينا على نهر – حسبت أنه كان – يقول – أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرا» قال: " قلت لهما: ما هذان؟ " قال: " قالا لي: انطلق انطلق ".

قال: «فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راء رجلا مرآة، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها» قال: " قلت لهما: ما هذا؟ " قال: " قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على روضة معتمة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط " قال: " قلت لهما: ما هذا ما هؤلاء؟ " قال: " قالا لي: انطلق انطلق ".

قال: «فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة، لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن» قال: " قالا لي: ارق فيها " قال: «فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء» قال: " قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر " قال: «وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة» قال: " قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منزلك".

قال: «فسما بصري صعدا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء» قال: " قالا لي: هذاك منزلك ".

قال: " قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله " قال: " قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجبا، فما هذا الذي رأيت؟ " قال: " قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة، الذي عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل – الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة " قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد

المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسنا وشطر قبيحا، فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، تجاوز الله عنهم**» أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

وهذا باب واسع والله المستعان

سعدوا ببخلهم والحال كما قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[سُورَةُ التَّوبَةِ: ٣٤-٣٥]

سعد قوم لوط بفعلهم فكان عاقبتهم خسرا.

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة هود:٧٨-٨٢].

سعد أبرهة وقومه بقليسهم وأردوا هدم الكعبة فكان هلاكهم كما قال الله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ الفِيلِ: ١-٥].

سعد قوم فرعون وعاد وثمود ببغيهم فكان ما قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [سُورَةُ الفَجرِ: ٦-١٤]

سعد قارون بماله فكان عذابه بذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۝٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۝٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾ [سورة القصص:٧٦-٨١].

خرج فرعون سعيدًا منتشيًا بجيشه فكان هلاكه وعذابه قال الله تعالى ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ۝٩٢﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٩٠-٩٢]

وقال الله تعالى ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سُورَةُ غَافِرٍ: ٤٥-٤٦].

سَعُدَ قوم نوح بإعراضهم فكان هلاكهم وعذابهم كما قال الله تعالى ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [سُورَةُ نُوحٍ: ٢٥].

سَعُدَ قوم سبأ بجناتهم فكان بسبب كفرهم زوال ملكهم ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾﴾ [سُورَةُ سَبَإٍ: ١٥-١٩]

والحال كما قال الله تعالى في شأن من سعد بمعصيته وإعراضه ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٤٠].

في قربك من رب البرية السعادة الحقيقية

وحين تتأمل تجد أن السعادة الحقيقية في قربك من رب البرية.

وأسباب السعادة: كثيرة جدًا جدًا تعود إلى أعمال وأقوال واعتقادات.

وهي مذكورة في الكتاب العزيز.

وهي: مذكورة في السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

وهي مذكورة في منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وهي معلومة: بالتجربة.

فمنها: أسباب حسية.

ومنها: أسباب معنوية.

فالإنسان يسعى جادًا وجاهدًا في تحصيل السعادة الحقيقية الدائمة في الدنيا، والآخرة بأسبابها الحسية والمعنوية، التي مرجعها إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، واتباع سنة النبي ﷺ.

فعلى العبد: أن يسعى سعيًا حثيثًا في معرفة هذا الباب، ويعمل بما يعرفه من تحصيل أسباب السعادة.

فإن السبب شرعي يعمل به.

وهي كثيرة: من الصلاة، والصيام، والحج، وقراءة القرآن، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر، والصدقة، وبذلك المعروف، وكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، وحسن الخُلُق، وغير ذلك من الطاعات، ومن القربات.

وإن كان السبب قدريـًا حصله بالطرق الشرعية، والله المستعان.

والله المستعان وعليه التكلان.

وهذا غيض من فيض، وقليل من كثير، فيه الإشارة إلى مهمات هذا الباب.

وكان الانتهاء من جمعها وتأليفها في جزيرة سقطرى

١٢ ربيع الآخرة ١٤٤٧هـ

والانتهاء من مراجعتها في مسجد الصحابة

١ جمادى الأولى ١٤٤٧هـ

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

المقدمة... ٥

السعادة هي مطلب كل مكلف في هذه الحياة الدنيا.......................................٨

بيان أقسام السعادة: ١٠

السعادة الزائلة ١١

السعادة الدائمة المستمرة ١٣

بيان السعادة الحقيقة المرغوبة عند عقلاء الناس وصلحائهم ٢٣

بيان أسباب السعادة الحقيقة.. ٢٤

١) الدخول في الإسلام والعمل به أوسع أبواب السعادة........................... ٢٥

بيان أن من أراد تحصيل السعادة الحقيقية ينظر أين هو من الإسلام ٣٢

٢) التوحيد من أعظم أسباب السعادة.................................... ٤٠

بيان سبب عدم الشعور بالسعادة من بعض المسلمين اليوم ٤٩

الأخذ بسنة النبي ﷺ من أعظم أسباب السعادة ٥٢

بيان تأسي الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ في الأمور كلها ٥٩

٤) طلب العلم من أعظم أسباب السعادة..................................٦٢

٥) الدعاء من أعظم أسباب السعادة ٧٢

باب الدعاء باب مستمر لا ينقطع بين العبد وربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٨٤

٦) سماع الوعظ والتذكير والمحاضرات من أسباب السعادة ٨٧

٧) الإقبال علىٰ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم أسباب السعادة ٨٩

بيان بعض فوائد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.. ٩٦

٨) التوبة من أعظم أسباب السعادة.. ١٠٤

٩) الصبر من أسباب السعادة.. ١١٢

١٠) الشكر من أسباب السعادة ١١٩

١١) الإخلاص من أسباب السعادة.. ١٢٠

١٢) قراءة القرآن من أسباب السعادة ١٢٤

١٣) عدم التطلع لما في أيدي الناس من أسباب السعادة ١٢٦

١٤) الرضا بما يسر الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة ١٢٨

١٥) الرغبة في الآخرة من أسباب السعادة.. ١٢٩

١٦) الاحتساب من أسباب السعادة ١٣٠

١٧) ترتيب الوقت من أسباب السعادة ١٣٢

١٨) قصر الأمل من أسباب السعادة ١٣٣

١٩) الأمل في الفرج من أسباب السعادة.......................................١٣٦

٢٠- ٢١- ٢٢) ومن أسباب السعادة الحلم والتجاوز والأناة....................١٣٨

٢٣) مجالسة الصالحين من أسباب السعادة.................................١٤٠

٢٤) ملازمة المساجد من أسباب السعادة....................................١٤٦

٢٥٠) البعد عن الذنوب والمعاصي من أسباب السعادة.....................١٥١

٢٦) قيام الليل من أسباب السعادة ١٥٣

٢٧) تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس من أسباب السعادة ١٥٧

٢٨) حب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والصالحين من أسباب السعادة ١٥٩

٢٨) الكرم من أسباب السعادة..١٦٤

٢٩) ترك فضول الكلام إلا في خير من أسباب السعادة ١٧١

٣٠) القناعة من أسباب السعادة..١٧٥

٣١) الرضا بالقدر من أسباب السعادة......................................١٨٠

٣٢) الطمع في الآخرة من أسباب السعادة...................................١٨٩

٣٣) حسن الخُلُق من أسباب السعادة ١٩٠

٣٤- ٣٥) البعد عن الحسد والحقد من أسباب السعادة...........................١٩٣

٣٦) الرحمة من أسباب السعادة..١٩٦

٣٧) بر الوالدين من أسباب السعادة ١٩٨
٣٨) طاعة أولياء الأمور في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة..................... ٢٠٠
٣٩) البعد عن الحزبيات والبدع من أسباب السعادة ٢٠٣
٤٠) العمل الصالح من أسباب السعادة.. ٢٠٥
٤١) سلامة القلب من أسباب السعادة.. ٢٠٨
٤٢) حفظ الجوارح من أسباب السعادة.. ٢١٧
٤٣) صلاح العقيدة أعظم أسباب السعادة ٢٢٠
٤٤) ملازمة طريق السعداء من أسباب السعادة................................ ٢٢٨
أسباب السعادة القدرية.. ٢٢٩
فضل إسعاد الآخرين.. ٢٣٦
١) المسكن الواسع من أسباب السعادة.. ٢٣٨
٢) الزوجة الصالحة من أسباب السعادة....................................... ٢٣٩
٣) الجار الصالح من أسباب السعادة.. ٢٤٠
٤) المركب الهنيء من أسباب السعادة ٢٤١
٥) الولد الصالح من أسباب السعادة ٢٤٢
٦) الصحة من أسباب السعادة ٢٤٤

٧) الفراغ من أسباب السعادة ٢٤٦

٨) الأمن من أسباب السعادة..٢٤٧

٩) المال الصالح من أسباب السعادة.................................٢٤٩

الأمور القدرية قد يسعد بها المؤمن، وغير المؤمن..........................٢٥٢

هنيئًا لمن تحققت له السعادتان...٢٥٥

١) تحقيق الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أسباب السعادة ٢٥٦

٢) الإيمان بملائكة الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة................................٢٦٠

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام من أسباب السعادة ٢٦٩

الإيمان بالقدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب السعادة..........٢٧٤

الإيمان باليوم الآخر من أسباب السعادة......................................٢٧٦

الإيمان بالكتب السماوية من أسباب السعادة.................................٢٨٥

تحقيق أصول الإيمان الستة من أسباب السعادة ٢٨٩

تحقيق أركان الإسلام الخمسة من أسباب السعادة.............................٢٩١

تحقيق ركن الإحسان من أسباب السعادة......................................٢٩٣

السعادة من كلام الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.......................................٢٩٦

بيان مصير السعداء في الدنيا، وفي الآخرة.......................................٢٩٩

السعادة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ........................... ٣٠٥

سعادة العصاة...٣١٦

في قربك من رب البرية السعادة الحقيقية.................................. ٣٢٣

الفهرس...٣٢٥